مجلة شهرية

Issue No: 162 عدد:

February 2021 شهر شباط

نور المسيح

ΦΩΣ ΧΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

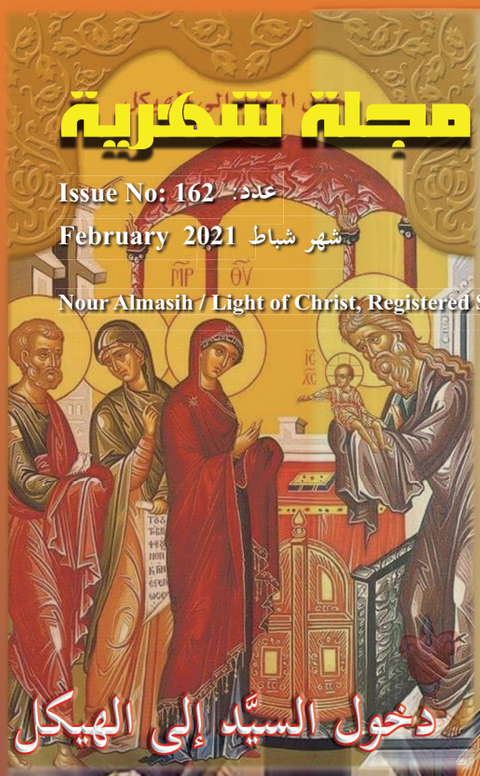

دخول السيَّد إلى الهيكل

الفرِّيسي

وَ

العشَّار

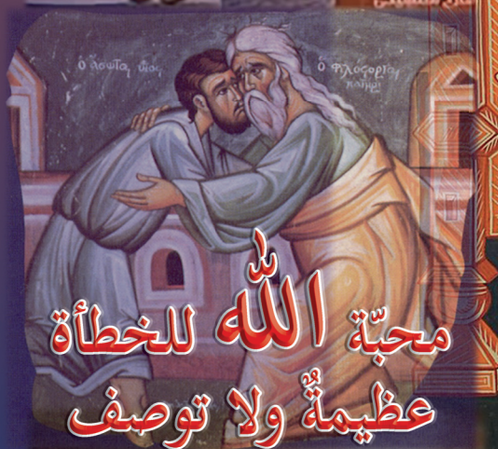

محبّة الله للخطأة

عظيمةٌ ولا توصف

تُوبُوا

لأَنَّهُ قَدِ اقْتَرَبَ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ

المسيح

هو الرجاء الوحيد لعالمنا

محتويات العدد

2	عجائب العذراء ...
3	كلمة غبطة البطريرك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث
4	ضدّ السحر والعرافة ...
5	دخول السيِّد إلى الهيكل
6	------
7	------
8	بدء التريوذي
9	الفريسي والعشار – عظة
10	------
11	أحد الابن الضَّال
12	-------
13	-------
14	-------
15	العِفَّةُ – للأب كونياريس
16	-------
18	-------
19	-------
19	-------
20	الشهيدُ العظيمُ ثيوذوروس
22	باقة من أقوال القديسين
23	القديس نكتاريوس
24	العظات الثماني عشرة عن المعمودية

السيِّدة **بَنايوتا ستافْرولا** تشرح العجيبة التي حصلت معها:

«إنَّ العذراء الكليّة القداسة صنعت معنا عجيبة كبيرة حيث منَّت علينا بطفلٍ، وذلك بعد مرور عشرين سنة من الزواج. منها ثمانية سنين متواصلة، كُنتُ أنا وزوجي نأتي إلى دير ماليفي للكليّة القداسة، متوسِّلين ومتضرِّعين بأنّ تَمُنَّ علينا العذراء مريم بطفلٍ لينير بيتنا الزوجي».

العام المنصرم، ذهبنا كالعادة للتضرُّع أمام **أيقونة العذراء مريم العجائبيَّة في ديرها العامر**، وعندما هممنا بمغادرة الكنيسة الصغيرة حيث تتواجد فيه الأيقونه، رجعت منذهلة إلى الخَلف، لأنّني سمعت صوتًا يبشّرني قائلًا: «**العام القادم سيكون عمَّاد الطفل**». وبعد شهرٍ بالتمام، أي في شهر تشرين الأوّل من نفس السنة كنتُ حاملًا بالطفل الموعود.

اليوم عدُنا لنقدِّم الشكر والعرفان، ونسجد أمام **أيقونة العذراء ماليفي في ديرها العامر**، حيثُ مُنِحنَا هذه العطيَّة الإلهيَّة الثمينة، أي الطفل الموهوب **من العذراء مريم**.

سوف نأتي في الشهر القادم شهر أكتوبر تشرين الأوّل إلى الدير لإقامة **مراسيم عماد طفلنا والذي سنمنحه اسم پانايوتي في المعموديّة**.

من أقوال أمّنا البارّة ميلاني الجديدة:

المحبّة الحقيقيّة نحو الله والآخر نعرفها من الكتاب المقدّس. فلنستفِدْ منها ولنحفظها جيدًا. ولنعرف أنّه من دون المحبّة كلُّ جهاد وفضيلة باطل. يستطيع **الشيطان** أن يقوم بكل هذا وربما بأفضل منه، ولكنّه يُغلَب بالمحبّة وتواضع الفكر.

نحن نصوم، الشيطان لا يأكل البتّة. نحن نسهر، الشيطان لا ينام. علينا أن نكره **الكبرياء** إذ بواسطتها سقط ذاك من السماء، وبواسطتها يريد أن يجتذبنا نحوه لنعيش بقربه. **لنهربْ من المجد الباطل الذي للعالم الحاضر** الذي يجذب كالزهر الجميل. **لنحفظْ إيماننا الرُّوميّ الأرثوذكسي** الذي هو أساس وركيزة الحياة في **المسيح**. لنضعْ هدفًا لنا أن نقدِّس أنفسنا وأجسادنا إذ بدون هذا كلّه لن نرى **وجه الرَّب يسوع**.

تُناشد **جمعيّة نور المسيح الكهنة** وجميع المؤمنين قُرَّاء هذا الإعلان، بإرسال موقع الجمعية لأكبر عددٍ ممكن من الأشخاص من خلال شبكات التواصل، ليتسنّى للراغبين في قراءة نشرات الآحاد والمجلّة الشهريّة، وخاصة لدى الأخوة في المملكة الأردنيّة الهاشميّة، في ظلّ هذه المرحلة مرحلة انتشار فيروس الكورونا. وكما قال **ربّنا يسوع المسيح**: «وَمَنْ سَقَى أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ كَأْسَ مَاءٍ بَارِدٍ فَقَطْ بِاسْمِ تِلْمِيذٍ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لاَ يُضِيعُ أَجْرَهُ». (مت ١٠ : ٤٢)

تتمنى جمعيّة نور المسيح لجميع المؤمنين حياة روحيّة وجسديَّة سليمة.

http://lightchrist.org/bulletins.html

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:

12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة تذكار القديس سمعان الشيخ القابل الإله

يقول **القديس يوحنا الدمشقي** مرنم الكنيسة : «لينفتحنَّ اليوم باب السماء. فإنَّ الإله كلمة الآب الذي لا بداءَة لهُ قد اتخَّذ بداءةً زمنية. ولم ينفصل عن لاهوته. فتُقَدِّمهُ أمُّهُ العذراءُ باختيارهِ إلى الهيكل الناموسيّ طفلًا ابن أربعين يومًا. فيقبلهُ الكاهن عَلَى ذِراعَيْهِ. ويهتفُ هتاف العبد نحو السيّد قائلًا: أطلقني يا سيّد لأنَّ عينَيَّ قد أبصرتا خلاصك. فيا من أتى إلى العالم ليخلّص جنس البشر. ياربُّ المجدُ لك.»

إخوتنا المحبوبين بالرب يسوع المسيح، أيها المسيحيون الأتقياء والزوار الكرام،

إنَّ **كلمة الله الفائق الجوهر** الذي لا يوصف الذي وُلِدَ في مغارةٍ في بيت لحم وأُضْجِعَ في المذود، قد جمعنا اليوم – في هذا الموضع والمكان المقدس، حيث كان بيت **سمعان الشيخ** – جمعنا بفرح وابتهاج، حتى نُعيّد لدخول ربنا ومخلصنا يسوع المسيح واقتباله في أحضان الشيخ سمعان.

إن هذا الحدث العظيم، أي إدخال **الطفل يسوع** إلى **هيكل سليمان** من قِبَل والديه في النهار الأربعين لولادته بحسب شريعة **موسى** كما يرويها بتفصيل **القديس لوقا الإنجيلي** إذ يقول: «فَأَتَى ''سمعان'' بِالرُّوحِ إِلَى الْهَيْكَلِ. وَعِنْدَمَا دَخَلَ بِالصَّبِيِّ يَسُوعَ أَبَوَاهُ، لِيَصْنَعَا لَهُ حَسَبَ عَادَةِ النَّامُوسِ، أَخَذَهُ عَلَى ذِرَاعَيْهِ وَبَارَكَ اللهَ وَقَالَ: الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ.» (لوقا ٢: ٢٧-٣٢)

إن **للشيخ سمعان** مكانة خاصة بين شخصيات التاريخ المقدس أي **الكتاب المقدس** وهذا لأنه استحقَّ أن يقتبل بين ذراعيه ''الطفل الإلهي يسوع'' من **يدي والدة الإله الفائقة القداسة الدائمة البتولية مريم**.

وبكلام آخر إنَّ سمعان الذي كان بارًّا وصِدِّيقًا، قد استبان شاهدًا حقيقيًّا صادقًا على تجسد وتأنس إلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. لقد جاء سمعان إلى الهيكل مُحرَّكًا من نعمة الروح القدس، ولم يحمل فقط على ذراعيه **المسيح ابن الله**، بل فتح فاه عارفًا أنه خلاص الله قائلًا: « لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ.» (لوقا ٢: ٣٠-٣١).

إن خبرة الشيخ سمعان يشهد عليها المزمور قائلًا: «النُّورٌ أَشْرَقَ لِلصِّدِّيقِ» (مز٩٦: ١١). فإن ناموس الله هو نورٌ للصديقين، لا يمقتُ إلَّا الخطيئة، إذ يقول **القديس كيرللس الإسكندري**: إن النور قد أشرقَ أي قد بزغَ أما في الإنسان الصالح والبارّ فإن النور الإلهي يُشرق على الدوام في قلبه وعقله.

أَعْلَنَ **الرَّبُّ خَلاَصَهُ**. «لِعُيُونِ الأُمَمِ كَشَفَ بِرَّهُ.» (مز٩٧:٢)، يقول صاحب المزمور، أي لقد جعل **الله** خلاصه ظاهرًا أمام كل الشعوب، وجعل بِرَّهُ جليًّا لجميع البشر بدون استثناء. فيقول **القديس ثيوذورس كيرو**: أي أنه قدَّم لجميع البشر مشروب الخلاص، وعلَّمَهُم مُظْهِرًا لهم أي لجميع الأمم ملكوت بِرِّه.

حقًا لقد أتى **الشيخ سمعان** إلى الهيكل بقوة وفعل واستنارة **الروح القدس** كما يشهد بذلك **لوقا الإنجيلي** «وَالرُّوحُ الْقُدُسُ كَانَ عَلَيْهِ.» أي على **سمعان**. (لوقا ٢: ٢٥).

لقد أعلن **الرُّوح القُدُس لسمعان** بأنه لن يرى الموت قبل أن يرى السيِّد الرب والإله الممسوح مَلِكًا وَمُخَلِّصًا للعالم. « وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ لاَ يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ.» (لوقا ٢: ٢٦).

وهذا يعني أنه بدون **الرُّوح القُدُس** لا نستطيع أن نُدرك **سِرّ التدبير الإلهي**، وبالأحرى عمل جسد **المسيح** السرّي الخلاصي أي **كنيستنا الرّوميّة الأرثوذكسية المقدسة**. ولا يكشف **الرُّوح القُدُس أسرار الله** التي تفوق الوصف لفاتري الإيمان من البشر، ولأولئك **ذوي القلوب الدنسة الآثمة وغير النقية**. (رؤيا ٣: ١٦). « فَاقْتَرِبُوا إِلَى اللهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ. نَقُّوا أَيْدِيَكُمْ أَيُّهَا الْخَطَأَةُ، وَطَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ يَا ذَوِي النَّفْسَيْنِ.» (يعقوب ٤: ٨)

« وَبَارَكَهُمَا سِمْعَانُ، وَقَالَ لِمَرْيَمَ أُمِّهِ: هَا إِنَّ هذَا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ

وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، وَلِعَلاَمَةٍ تُقَاوَمُ.» (لو٢: ٣٤) إن أقوال الشيخ سمعان النبوية قد تحققت أثناء عمل **مخلصنا** على الأرض وخاصة في صَلْبِهِ وقيامتِهِ من بين الأموات الذي هو **قمة عمله الخلاصي**.

إنَّ **ربنا يسوع المسيح** الذي **هو إنسان تام وإله تام** فهو يُشكل من جهةٍ، سقطة وعثرة لأولئك المشككين وغير المؤمنين، ومن الجهة الأخرى قيامةً للمؤمنين والواثقين.

إنَّ **تعليم آباء كنيستنا القديسين اللاهوتيين العظماء** الذين يُعلّمون بدالَّةٍ – (لَهُ عَلَيَّ دَالَّةٌ : مَنْزِلَةٌ، فَضْلٌ – **معجم المعاني الجامع**) – مؤكدين بأنَّ **في المسيح طبيعتين، طبيعةً إلهية تامة أي "لاهوت كامل" وطبيعةً إنسانية تامة أي "إنسان كامل"**. ومع كل هذا فالطبيعتان اتحدتا في شخصٍ واحدٍ وأقنومٍ واحدٍ وهو لم ينقسم ولم ينفصل إلى شخصين بل واحدٌ هو، وهو نفسه الابن الوحيد الإله الكلمة الذي قال أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ (يوحنا ١٠: ٣٠). وقد حافظت كلٌ من الطبيعتين على خصائصها في وحدة الشخص.

وبحسب **القديس كيرللس الإسكندري** فإن **القديس سمعان الشيخ** يُسمي **الصليب الكريم بالعلامة التي تُقاوَم** أو المثيرة للجدل إذ أنَّ **الصليب** سيجعل الناس ينقسمون، فسوف يراه البعض بشكل إيجابي والآخر سينظر له بشكل سلبي، لهذا فإنَّ **القديس بولس الرسول** يُكرز قائلًا: « وَلكِنَّنَا نَحْنُ نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً، وَلِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً! وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ.» (١كور ١: ٢٣-٢٤)

إنَّ **كنيستنا المقدسة** تدعونا بفم **القديس أثناسيوس الكبير** أن نتمثَّل ونقتدي **بالبارِّ سمعان الشيخ والقديسة حنة النبيَّة** اللذين كانا يتميزان بطهارتهما ووداعتهما وعفتهما واتضاع فكرهما.

ختامًا نتضرع إلى **القديس سمعان الشيخ** ومع المرتل نهتف قائلين: كُن إلهي جاليًا نور عقلي والبصر، حيث أغدو شاديًا بك ما بين البشر.

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

فلتحارب أيُّها الحبيب الأمور الباطلة المملوءة بالهذيان والأكاذيب المُضَلِّلة عن الآلهة والذبائح، عن الأوثان، عن الشياطين، عن التواصل مع الآلهة ومع النفس التي ماتت (مناجاة الأرواح)، وعن تأثير النجوم والأبراج (حيثُ يُشيع العرَّافون أن حركة النجوم تؤثِّر في مصير الإنسان). فلو أنَّكَ ترفَّعتَ وازدريتَ بالحديث عن هذه الأمور، لأنَّك تراها أمورًا تافهة وأنَّها كثيرًا ما دُحِضَت، ولكن التفت بل وتفرَّس بالأمور الخاصّة بخلاصك والتي بها تنال مَجدًا، حينئذٍ سأُريك طُرقًا فسيحة ورحبة. فلتَقتَنِ الحكمة أيُّها الحبيب عن العالم والبَشر، عن المادة والنفس، عن الأفكار الصالحة والأفكار الشريرة، عن القيامة وعن الدينونة والمجازاة، وعن آلام السيِّد المسيح الخلاصيّة. لأنَّ النجاح في الاهتمام بهذه الموضوعات هو أمرٌ نافعٌ ومُفيد، والفشل فيها لا يمثّل ضررًا أو خطرًا (بينما الاهتمام بالتنجيم والعِرافة وأعمال السِّحر يمثِّل ضررًا بالغًا). والآن فلتنشغل بما قُلناه عن الله، والذي هو قليل في الوقت الحاضر وربما يصير أكمل فيما بعد بالمسيح يسوع ربّنا الذي يليق به المجد إلى الأبد آمين.

† المسيح يُقدَّم إلى الهيكل:

بعد التطهير، كان تقديم **الطفل يسوع** ذي الأربعين يومًا إلى الهيكل ليُدعَى قدوسًا للرَّبّ ومُكرَّسًا له [١]. **والعذراء** التي كانت قد تكرَّست قبلًا في الهيكل منذ طفولتها، تتنازل هنا عن أولوية أمومتها لتُقدِّم طفلها مُقدَّسًا للرب باعتباره **المسيَّا** الموعود به: «لأَنَّهُ يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ» (متى١: ٢١)[٢].

وإذا كان **الله** قد خصَّص فيما بعد سبط لاوي لخدمة الهيكل بدل كل بِكْر في إسرائيل (عد ٣: ٩-١٢؛ ٨: ١٨)، فإنَّ **المسيح** (الذي هو من سبط يهوذا حسب الجسد) لم يأتِ ليكون خادمًا أو مجرد كاهن، وإنما كرئيس كهنة إلى الأبد على رتبة ملكي صادق[٣] ، وليس على رتبة هارون (الذي من سبط لاوي)، والذي «لَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُول، بَلْ بِدَمِ نَفْسِهِ، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا.» (عب ٩: ١٢).

كان **المسيح** هو البِكْر الفريد الذي به تمَّ الخلاص الأبدي، فتباركت فيه كل أُمم الأرض. وإذا كان خروف الفصح القديم قد أَنْقَذَ أبكار إسرائيل من ضربة الملاك المُهلك، فإنَّ ذبيحة هذا البِكْر، **ابن الله الوحيد**، قد أنقذت كل مَن يؤمن به من الموت الأبدي ووهبته الحياة الأبدية (يو٣: ١٦).

والعذراء، وهي هنا تحمل **ابنها** لتقديمه إلى الهيكل **مُكرَّسًا للرَّبّ**، ستراه بعد سنوات مرفوعًا على الصليب لخلاص كل البشر. وعلى مثالها، فإنَّ الكنيسة تحمل جسد الرب ودمه في سرِّ الإفخارستيا كل قداس، استحضارًا مُتجدِّدًا لعشاء الرب ليلة آلامه، وتبشيرًا **بموت الرَّبّ وقيامته وصعوده إلى السماء** إلى أن يجيء لإعلان الخلاص الأخير (في ٣: ٢٠،٢١؛ عب ٩: ٢٨؛ ١بط ١: ٥).

† شهادة سمعان الشيخ:

ولكي تكتمل أبعاد المشهد، ويتكلَّل بروح النبوَّة، يأتي إلى الهيكل في وقته تمامًا **سمعان الشيخ** الذي كان على موعد حدَّده الرُّوح له قبل سنين كثيرة.

كان سمعان (أو شمعون) واحدًا من معلِّمي الكتاب، و«كَانَ بَارًّا تَقِيًّا... وَالرُّوحُ الْقُدُسُ كَانَ عَلَيْهِ.» (لو٢: ٢٥)، وبحسب التقليد اختير ضمن اثنين وسبعين شيخًا – ستة من كل سبط – اختارهم أليعازر رئيس كهنة أورشليم ليقوموا بترجمة أسفار العهد القديم من العبرية إلى اليونانية [٤].

وكان على **سمعان** ترجمة سفر **إشعياء**. ولما جاء إلى الآية الرابعة عشرة من الأصحاح السابع: «هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ «عِمَّانُوئِيلَ»، توقَّف أمامها وتردَّد متحيِّرًا. فالكلمة العبرية «עלמה عالماه alma» تقابلها الكلمة اليونانية « بارثينوس – Παρθένος parthenos» أي «العذراء» غير المرتبطة بزوج. وخَطَرَ له أنَّ الكلمة غير ملائمة أو ليست مقصودة لذاتها، وقد تتعرَّض ترجمته في هذه الحالة للانتقاد. وفكَّر أنه قد يكون الأوفق أن يستخدم الكلمة اليونانية «نيانيس Νεᾶνις – nianis» أي «شابة»، وهي كلمة عامة يمكن أن تعني امرأة صغيرة السن، متزوجة أو غير متزوجة. ولكن الرُّوح تدخَّل، وبحسب التقليد، فإنَّ ملاكًا ظهر له في رؤيا وأكَّد له صحة الكلمة المكتوبة، «وَكَانَ قَدْ أُوحِيَ إِلَيْهِ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ أَنَّهُ لاَ يَرَى الْمَوْتَ قَبْلَ أَنْ يَرَى مَسِيحَ الرَّبِّ.» (لو٢: ٢٦)، أي ليس فقط يُعاين **الأُم العذراء**، بل **والطفل الإلهي**، وقد أتت به لتقديمه للرَّبّ.

هكذا ساق **الرُّوح القُدُس سمعان الشيخ** إلى الهيكل كي يشهد تحقيق الوعد القديم الذي عقده **الله** مع **إبراهيم**: أنَّ في نسله تتبارك جميع أُمم الأرض. « وَتَتَبَارَكُ فِيكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ» (تك ١٢: ٣).

بهدوء تمَّ التطهير والذبح والحرق ورش الدم، ولم يفطن الكاهن **الخديم** ﴿**خديم**: (اسم) **هُوَ خَدِيمُهُ** : **عَامِلٌ تَحْتَ تَصَرُّفِهِ، يَشْتَغِلُ بِأَمْرِهِ**) (**أي الكاهن الذي كان يكهن في الهيكل – معجم المعاني الجامع**﴾ أنه كان أمام **ملك الملوك**، كما أن **مريم** ويوسف أيضًا كانا يحسبان أن الأمر لن يتعدَّى التقدمة ثم العودة. ولكن كان هناك ثمة فصول باقية لن تُنسَى آثارها.

وها هو الشيخ الوقور يقترب من العائلة المقدسة وهو يئنُّ تحت وطأة السنين التي طالت [٥] في انتظار «تعزية إسرائيل» **بمخلص العالم**. وإذ تجتاحه البهجة بمرأى «مسيح الرب» يتوق متجاسرًا أن يحمله، فتُقدِّمه له **أمه** ويمدُّ ذراعيه ليحمله [٦]. وتقفز إلى ذهنه الوعود الإلهية بتعزية إسرائيل وكل الأُمم:

✝ «لِتُشِدِ الْجِبَالُ بِالتَّرَنُّمِ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ عَزَّى شَعْبَهُ، وَعَلَى بَائِسِيهِ يَتَرَحَّمُ ... أَشِيدِي تَرَنَّمِي مَعًا يَا خِرَبَ (برية) أُورُشَلِيمَ، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ عَزَّى شَعْبَهُ، فَدَى أُورُشَلِيمَ. قَدْ شَمَّرَ الرَّبُّ عَنْ ذِرَاعِ قُدْسِهِ أَمَامَ عُيُونِ كُلِّ الأُمَمِ، فَتَرَى كُلُّ أَطْرَافِ الأَرْضِ خَلاَصَ إِلهِنَا.» (إش ٤٩: ١٣؛ ٥٢: ٩، ١٠).

وإذ يتم الوعد القديم **لسمعان** بعد الانتظار الطويل، يشعر أنه أخيرًا قد حانت ساعة الانطلاق من العالم. وبفرحة الأسير، وهو يتحرَّر من قيود سجنه، يرفع عينيه نحو السماء هاتفًا: «الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ.» (لو٢: ٢٩، ٣٠).

ولكن قبل أن يمضي من الهيكل، يُحرِّك الرُّوح سمعان كي ينطق بشهادته مُنبئًا عن المهمة العُظمى للطفل الإلهي، فيُواصل قوله عن «**خلاص الرب**»: «خَلاَصَكَ،الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ» (لو٢: ٣١، ٣٢)، صدًى لكلمات الكتاب: «فَقَدْ جَعَلْتُكَ نُورًا لِلأُمَمِ لِتَكُونَ خَلاَصِي إِلَى أَقْصَى الأَرْضِ» (إش ٤٩: ٦). فالأُمم الذين كانوا **في الظلمة وظلال الموت** يُشرق عليهم **نور**، وإسرائيل الذي ائتمنه **الله** على وعد الخلاص (يو ٤: ٢٢) يتمجَّد بأن يأتي منه **المخلِّص ابن داود**.

ثم بَقِيَت رسالة خاصة مزدوجة يستودعها **للأُم القديسة**، وجزؤها الأول عن ابنها الذي يُشير إليه ويقول: «هَا إِنَّ هذَا قَدْ وُضِعَ لِسُقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ، وَلِعَلاَمَةٍ تُقَاوَمُ.» (لو٢: ٣٤) [٧]. فأمام خلاص **المسيح** ينقسم الناس فريقين: **فالرافضون والمقاومون سيُقطعون في نهاية الأمر، أما المؤمنون فينجون من الموت ويستوطنون في ملكوته الأبدي**.

والرَّبّ خلال خدمته واجه رؤساء الكهنة بنبوَّة إشعياء (٢٨: ١٦) عن نفسه: «فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ:«إِذًا مَا هُوَ هذَا الْمَكْتُوبُ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ؟ كُلُّ مَنْ يَسْقُطُ عَلَى ذلِكَ الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ!» (لو٢٠: ١٧، ١٨). وقد أشار **القديس بولس** كيف أن اليهود اصطدموا بحجر الصدمة كما هو مكتوب في سفر أشعياء «وَيَكُونُ مَقْدِسًا وَحَجَرَ صَدْمَةٍ وَصَخْرَةَ عَثْرَةٍ لِبَيْتَيْ إِسْرَائِيلَ، وَفَخًّا وَشَرَكًا لِسُكَّانِ أُورُشَلِيمَ.» (إش٨: ١٤): «... هَا أَنَا أَضَعُ فِي صِهْيَوْنَ حَجَرَ صَدْمَةٍ وَصَخْرَةَ عَثْرَةٍ، وَكُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُخْزَى» (رو ٩: ٣٢، ٣٣).

ثم يلتفت سمعان إلى **العذراء** ليقول لها الجزء الخاص بها: «وَأَنْتِ أَيْضًا يَجُوزُ فِي نَفْسِكِ سَيْفٌ، لِتُعْلَنَ أَفْكَارٌ مِنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ.[٨]» (لو٢: ٣٥).

وسمعان هنا يمدُّ بصره إلى بعيد مُستبقًا الأحداث القادمة الحافلة بالعذاب والدم والدموع حين تتراجع الأفراح الحالية لتحل محلها الآلام الساحقة «**كسيفٍ**» حاد يخترق قلبها بكل شدَّته، **والابن المحبوب**، وهو في الثالثة والثلاثين، يتعرَّض **لحصار الظلم والكراهية** قبل أن يرتفع نازفًا على **صليب العار حتى الموت**، «لِتُعْلَنَ أَفْكَارٌ مِنْ قُلُوبٍ كَثِيرَةٍ»: بعضها يؤمن ويتبع ويُبشِّر بخلاصه، **وبعضها يرفض ويضطهد ويُعادي إلى النهاية**.

ولعل **العذراء** جفلت وانقبض قلبها عند سماع كلمات سمعان الشيخ، وظلَّت تحفظها مُتفكِّرة بها في قلبها، حتى اختبرتها بكل حقيقتها القاسية وحجمها الهائل يوم **الصليب**.

✝ شهادة حَنَّة النبيَّة:

ثم تجيء **النبيَّة** «حَنَّة بنت فَنُوئيل من سبط أشير» [٩]، التي تجاوز عمرها القرن، ومنذ أن ترمَّلت بعد زواج سبع سنين لم تُفارق الهيكل أربعًا وثمانين سنة، وهي مثل سمعان كانت ممتلئة من الرُّوح: «عَابِدَةً بِأَصْوَامٍ وَطِلِبَاتٍ لَيْلاً وَنَهَارًا.». وهي قد أقبلت بالرُّوح في تلك الساعة نحو الجماعة الصغيرة المُباركة ووقفت معهم تُسبِّح الرب وتُقاسمهم فرحهم (لو٢: ٣٦–٣٨).

كَمْ هي مغبوطة هذه الشيخة التقية، كما هو أيضًا سمعان الشيخ، اللذان يُقدِّمان نموذجًا مُضيئًا عندما تصير الشيخوخة بركة وصُحبة سعيدة مع الله، وليست مجرَّد أيام طويلة متشابهة تُقضَى بصعوبة مع الضعف والعجز والسأم، وهما اللذان عاشا على الرجاء «مَعَ جَمِيعِ الْمُنْتَظِرِينَ فِدَاءً فِي أُورُشَلِيمَ.» (لو٢: ٣٨). وكانت الجائزة السعيدة، لقاء **المخلِّص** مع بداية قدومه إلى العالم. وهما بإيمانهما وحيويتهما الروحية يخزيان الشباب الذين يُبدِّدون أيامهم **خضوعًا لرغبات الجسد**، أو انحصارًا في هموم العيش، ومنهم مَن يسحقهم الاكتئاب بلا رحمة [١٠]؛ كما يخزيان الشيوخ الذين يفقدون حكمتهم، ويغفلون عن مصيرهم، **وينشغلون بغرور الغِنَى ورفاهية الحياة، أو يتعلَّقون بالشهوات، أو يُمضون ما بَقِيَ من أيامهم يندبون حظهم ويجترُّون الأحزان**.

وإذ تنفعل بالرُّوح، بدأت **حنَّة** تتكلَّم عن **الرَّبّ**. ولعلها أخذت تستعيد النبوَّات عن **المسيَّا** مع مَن كانوا في الهيكل من الأتقياء، وتتذكَّر الآباء الذين طوتهم الأيام، وهم «مِنْ بَعِيدٍ نَظَرُوهَا وَصَدَّقُوهَا وَحَيُّوهَا» (عب ١١: ١٣).

وها هو الرَّبّ يُكافئ المنتظرين فداءه على الرجاء. وكما اشترك الرجال في خدمة الخلاص كقادة وقضاة وأنبياء وملوك وكارزين، ها هُنَّ النساء ينلن كرامة **بمريم العذراء** وحنَّة النبية، وكل مَن كُنَّ حول **الرَّبّ** كي تتعزَّى بهن **حواء** أُم كل البشر (تك ٣: ٢)، بإسهامهن في الخطة الإلهية لتدبير الخلاص.

على أنَّ احتفال الكنيسة بتقديم المسيح إلى الهيكل لا يصح أن يَعْبُر علينا كأنه تذكار خاص بالمسيح ورسالته الخلاصية، ولكنه يمكن أن يُحقِّق غاية ذاتية مُجدِّدة للحياة إن انتبهنا إليه كعيد لكلٍّ منَّا، كبارًا وصغارًا، رجالًا ونساءً، نحتفل فيه مع **الرَّبّ** بتكريسنا له تلاميذ وخدَّامًا.

بل إنَّ التزامنا الإيماني يقتضي أن يكون دخولنا إلى الكنيسة في كل مرة لا «كَمَا لِقَوْمٍ عَادَةٌ» (عب ١٠ : ٢٥)، وإنما تجديدًا دوريًا لعهدنا «كَمُقَدَّسِينَ لِلرَّبِّ» (خر ٢٢: ٣١؛ لا ١١: ٤٢،٤٥؛ يو ١٧: ١٩)، ورجوعًا **بالتوبة إلى الله** وتأكيدًا على السير على خُطَى المخلِّص وطاعة إنجيله، حاملين عاره (عب ١٣ : ١٣)، وقابلين بالفرح شركة آلامه (في٣: ١٠)، وصائرين نورًا للعالم وملحًا للأرض، مُقدِّمين محبّة للقريب والغريب والعدو، وغالبين الشَّر بالخير، وكارزين للكل **بخلاص الرَّبّ**، ومستعدِّين كل يوم **كسمعان** للخروج من هذا العالم إلى **العُرس السماوي**، وفي كل صلاة نهتف معه مبتهجين: «الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ» (١١).

وهو نداء كل المؤمنين الحقيقيين رفاق **المسيح** الذين اختبروا **خلاص الرَّبّ** « وَذَاقُوا الْمَوْهِبَةَ السَّمَاوِيَّةَ، وَذَاقُوا كَلِمَةَ اللهِ الصَّالِحَةَ» (عب ٦: ٤،٥)، الذين «لَيْسَ لَهُم هُنَا مَدِينَةٌ بَاقِيَةٌ، لكِنَّ يَطْلُبُونَ الْعَتِيدَةَ.» (عب١٣:١٤). أما المتردِّدون الذين لم يحسموا أمرهم بعد في تبعية **الرَّبّ**، فالخوف يُحاصرهم من الساعة الأخيرة، ولا يستطيعون أن ينطقوا ما قاله **سمعان** وكل المستعدِّين. ولكن **الرَّبّ** طالبٌ مثل هؤلاء أيضًا، لأنه قد مات لأجلهم. وهو قادر على خلاصهم، ويقول لهم: «فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا. » (يو٨:٣٦).

---

(١) باعتباره البِكْر، أي الابن الأول فاتح الرحم (وهو يكون البكر ولو لم يُولَد له إخوة من بعده)، وهو يخدم الله عِوَض أن يُقدِّم ذبيحة، إذ أنَّ الله افتدى كل أبكار إسرائيل في ضربة قَتْل أبكار المصريين: «يوم ضربت كل بِكْر في أرض مصر، قدَّستهم لي» (خر ١٣: ٢،١٥؛ عد ٣: ١٣؛ ٨: ١٧). وفي دخول المسيح الهيكل تحقيق لنبوَّة ملاخي: «هأَنَذَا أُرْسِلُ مَلاَكِي فَيُهَيِّئُ الطَّرِيقَ أَمَامِي.يأتي بغتةً إلى هيكله السيد الذي تطلبونه» (ملا ٣: ١).

(٢) قبل المسيح بأكثر من ألف عام، قدَّمت حَنَّة ابنها صموئيل ذا الثلاث سنوات كي يخدم الهيكل قائلة: «لأجل هذا الصبي صلَّيتُ، فأعطاني الرب سؤلي الذي سألته من لَدُنْه، وأنا أيضاً قد أعرته للرب» (١صم: ٢٧،٢٨).

(٣) ملك شاليم الذي عَشَّر له إبراهيم – ولاوي في صُلبه – ونال بركته (تك ١٤: ١٨–٢٠؛ عب ٧: ٦،١٠).

(٤) وهي أول ترجمة للعهد القديم والمعروفة بالسبعينية Septuagint LXX، وذلك بتكليف من بطليموس فيلادلفوس ملك مصر المقدوني (٣٠٩–٢٤٦ ق.م) حوالي سنة ٢٨٠ق.م، لاستكمال مكتبة الإسكندرية العظيمة ولخدمة يهود الشتات في مصر الذين صاروا يتكلَّمون اليونانية السائدة بعد أن فقدوا لغة آبائهم العبرية. وفي الإسكندرية تمَّت أولاً ترجمة أسفار موسى الخمسة في ٧٢ يومًا، واستُكْمِلَت ترجمة باقي الأسفار خلال المئتي سنة التالية، وقد سُمِّيت هذه الترجمة فيما بعد بالنسخة الإسكندرانية Alexandrian Version.

(٥) وقد سكت الكتاب عن الإشارة إلى سنوات عمره (على غير ما جرى مع حنَّة النبيَّة) وإن كان التقليد يُقْرِن اسمه بالشيخ. ولابد أنه كان معروفًا تمامًا في أورشليم، فقد عاصر أجيالًا كثيرة.

(٦) لذا يُسمَّى سمعان: مضيف الله Host of God، ومتلقِّي الله God-Receiver، وحامل الله Theophoros. ولأن يوم دخول المسيح الهيكل كان أيضًا يوم لقائه بسمعان وحنَّة، فيُسمَّى هذا اليوم في التقويم اليوناني: «عيد التلاقي، او اللقاء».

(٧) «وهو علامة من الله يُقاومونها»، حسب الترجمة العربية المشتركة، أي أنَّ المسيح نفسه هو العلامة (أي صورة الله وخلاصه) التي تُقاوَم. ولكن يمكن أن ينسحب الأمر على «علامة ابن الإنسان» (مت ٢٤: ٣٠)، وهي صليبه. ومكتوب أنَّ «كلمة الصليب عند الهالكين جهالة، أما عندنا نحن المُخلَّصين فهي قوة الله» (١كو ١: ١٨). كما أنَّ المسيح المصلوب هو للرافضين «لليهود عثرة، ولليونانيين جهالة»، وأما للمدعوين منهم فهو «قوة الله وحكمة الله» (١كو ١: ٢٣،٢٤).

(٨) ومن نبوَّة سمعان هذه استوحت الكنيسة هذه الفقرة من قِطَع صلاة الساعة التاسعة مستعيدة مشاعر الأُم المكلومة تحت الصليب المختلطة بفرح كل المُخلَّصين: «عندما نظرت الوالدة الحَمَل مخلِّص العالم على الصليب مُعلَّقًا، قالت وهي باكية: أما العالم فيفرح لقبوله الخلاص، وأما أحشائي فتلتهب عند نظري إلى صلبوتك الذي أنت صابر عليه من أجل الكل يا ابني وإلهي» (صلبوت (سريانية): صلب المسيح، تعليق المسيح على الصليب (معجم أبو الفداء، ياقوت ٤: ١٧٤).

(٩) «حَنَّة» يعني: «نعمة» أو «حنان» أو «حنون»؛ و«فنوئيل» (تك ٣: ٣١) يعني: «وجه الله»؛ و«أشير» (تك ٣: ١٢) يعني: «سعيد» أو «مغبوط»، وهو واحد من الأسباط العشرة التي كوَّنت الجزء الشمالي من مملكة إسرائيل التي انقسمت بعد سليمان.

(١٠) تنفق الولايات المتحدة ٥٠ بليون دولار كل سنة لعلاج المصابين بالاكتئاب. كما أن هناك ٣١,٠٠٠ ينتحرون من كل الفئات كل عام، فضلًا عن آلاف غيرهم ينتحرون في أنحاء العالم.

(١١) تقال في صلاة الغروب.

الدكتور جميل نجيب سليمان

دير القديس انبا مقار الكبير – آذار ٢٠١٣

عارية: انفصل الحديد من الفأس وبقيت الخشبة بيد العامل فقال عنها: إنَّها عارية.

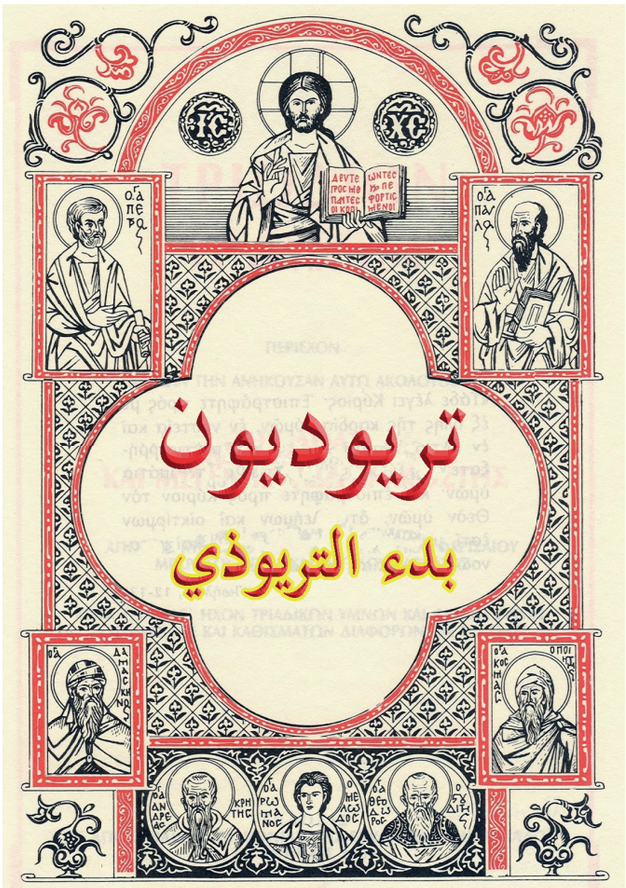

النص الانجيلي:

لوقا (لو١٨: ١٠–١٤)

قال الرب هذا المثل: إنسانان صعدا إلى الهيكل ليُصليا، أحدهما فريسي والآخر عشّار. فكان الفريسي واقفًا يُصلي في نفسه هكذا: اللهم إني أشكرك لأني لست كسائر الناس الخَطَفَةِ الظالمين الفاسقين ولا مثل هذا العشار. فإني أصوم في الأسبوع مرتين وأعشّر كل ما هو لي. أما العشار فوقف عن بُعد، و لم يُرد أن يرفع عينيه إلى السماء بل كان يقرع صدره قائلًا اللهم ارحمني أنا الخاطئ. أقول لكم: «إن هذا نزل إلى بيته مُبَرَّرًا دون ذاك. لأن كل من رفع نفسه اتضع ومن وضع نفسه ارتفع.»

التواضع أم الفضائل

«اتَّضِعُوا قُدَّامَ الرَّبِّ فَيَرْفَعَكُمْ.» (يعقوب٤: ١٠)

ايها الاحباء: نحن الآن على مشارف الصوم الكبير الذي فيه نتدرَّب روحيًّا لنكتسب الفضائل لكي نحياها باقي السنة . فلذلك نكتشف في الصوم الدعوة الى الوداعة اي التواضع.

وَلِأَهَمِيَّةِ التواضع رتبت الكنيسة المقدسة ان يُقرأ المقطع الانجيلي الشريف الذي تُلِيَ عليكم الآن المختص بالفريسي والعشار. إنَّ هذا المثل موجَّه الى جميع البشر الذين نقابلهم في كل الاوقات، والى الاشخاص الذين يعتبرون انفسهم كاملين من ناحية العبادة والمعرفة، والى الذين **يُدينونَ الاخرين ويعتبرونهم خَطَأَةً** وايضًا الى الذين لهم دائمًا بان يصفوا العذاب الذي **سيعاقب** به **الله** كل انسان خاطئ ناسين بهذا ايضًا انهم سيقفون يومًا ما امام **الله** ومحاكمته العادلة.

اذًا، لهذا وضعت الكنيسة المقدسة هذا النَصّ الالهي في بداية تحضيرنا للصوم الكبير بهدف حماية المؤمنين **من التكبُّر وتعاظم الفريسي**، وأَنْ يأخذ كل مسيحي مؤمن تواضع العشار الذي قَدَّمَ صلاته بتوبة ودموع.

لأَنَّ التواضع هو الفضيلة الاولى في حياة الإنسان الروحيَّة والكنسيَّة، التواضع هو السور الذي يحمي الفضائل ويحمي المواهب. وكل فضيلة **خالية** من التواضع عرضة لان يختطفها **شيطان المجد الباطل**.

فاذا منَحكم الرَّب موهبة، أُطلبوا اليه ان يعطيكم معها اتضاعًا ، أَو ان يأخذ هذه الموهبة منكم، لئلا تقعوا بسببها **في الكبرياء** وتهلكون.

التواضع اذن هو الاساس الذي تُبنى عليه كل الفضائل، هو أُم الفضائل. ويظهر الاتضاع في تعاليم **المسيح** ورسله واضحًا. ففي الموعظة على الجبل جاء كلام **الرَّب يسوع** يطوِّب المتواضعين فقال: «طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ، لأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.» (متى٥: ٣).

إنَّ **الرَّب يسوع** كان مَثَلًا للتواضع وقد حَثَّ الجميع على اتباعه «تَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. » (متى ١١: ٢٩) . أَكَّد **الرَّبّ يسوع المسيح** انَّ من يَضع نفسه يرتفع (لوقا١٤: ١٠–١١). ويقول **بطرس الرسول** «فَتَوَاضَعُوا تَحْتَ يَدِ اللهِ الْقَوِيَّةِ لِكَيْ يَرْفَعَكُمْ فِي حِينِهِ» (١بطرس٥: ٦) .

لماذا التواضع مُهمٌ واساسيٌّ في حياتنا الروحيَّة ؟ وفي سلوكنا المسيحي اليومي؟. الاتضاع يعني اكتشاف الإنسان لحقيقة نفسه، وإدراك عجزه وقلة حيلته **أمام المرض والمحن والموت، وأنه تراب ورماد**، وحياة الإنسان «إِنَّهَا بُخَارٌ، يَظْهَرُ قَلِيلاً ثُمَّ يَضْمَحِلُّ.» (يعقوب ٤: ١٤)، وبدون **الله** واهب الحياة لا يقدر الانسان على فِعْل أي شيء. فهو ضعيف وخاطئ، وأنَّ الفضائل التي ينتهجها، تُنسب مباشرة إلى **الله** صانع الخيرات ومصدر كل برٍّ، فالإنسان محدود القوة والمعرفة والأيام، ولا يملك حياته أو مواهبه أو فضائله أو صحته أو ماله أو جماله أو نسبه، ولا يستطيع وحده أن يفعل البِرَّ أو ينتصر على الخطيَّة. فالمواهب جميعها هي عطايا من لدنه **تعالى، فالله** هو الغني والكثير الرأفة.

وهكذا يُترجم الاتضاع إلى **إنكار الذات أي عدم الاعتزاز بالنفس** ، كي يصير **الله** هو المهيْمن على الكيان دون منازع. وهكذا جعله **الرَّبّ** شرطًا أوليًا لتبعيته، إذ بدونه ترفُض النَّفسُ تبعيَّة آخر، وبدونه لن تَقْبَل حمل الصليب أي التألُّم من أجل **المسيح**، أو احتمال التجارب الداعمة للإيمان أو الجهاد ضد ميول الجسد. ومن هنا يكون الاتضاع هو المفتاح للدخول إلى سائر الفضائل.

لذا يعطي **الله** مواهِبَهُ وَنِعَمَهُ للمتواضعين لأَنَّه يعرف انَّها لا تؤذيهم . ويقول الكتاب المقدس انَّ **الله** يكشف اسراره للمتواضعين، هؤلاء الذين كُلَّما زادهم **الله** مَجدًا زادوا انسحاقًا قدامه.

يكفي انَّ **الله** يكون قريبًا من المتواضعين، والمنكسري القلوب يخلصهم ويشفيهم ويجبر كسرهم (مز٣٤: ١٨) (مز٣:١٤٧) (لوقا ١٨: ٤) ويعزيهم (٢كور٢: ٧) ويعطيهم نعمة (يع٤: ٦)، (١بطرس ٥: ٥).

وإنَّ دخول **المسيح** إلى مجده كان من باب الاتضاع: «لكِنَّهُ أَخْلَى

نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ. وَإِذْ وُجِدَ فِي الْهَيْئَةِ كَإِنْسَانٍ، وَضَعَ نَفْسَهُ وَأَطَاعَ حَتَّى الْمَوْتَ مَوْتَ الصَّلِيبِ. لِذلِكَ رَفَّعَهُ اللهُ أَيْضًا، ....» (فيليبي ٢: ٧-١٠).

أيُّها الاحباء: دعوتي لكم بكل محبة وصدق **اقطعوا الكبرياء وتمسكوا بالتواضع** كصديق لكم في هذه الحياة الفانية، **لانَّ الكبرياء هو رأس الشر**، والتواضع هو رأس كل عمل صالح.

ايضًا لا يكون تواضعكم مَظْهريا فريسيًّا او باللسان فقط ،انما ليكن تواضعًا حقيقيًا من عمق القلوب بيقين داخلي، ليكن تواضعًا بالرُّوح.

وان عشتم بالتواضع حتمًا ستحيون باستمرار في حياة شُكرٍ وتمجيدٍ لله، شاعرين على الدوام انَّ لله يعطيكم فوق ما تستحقون.

لا يوجد شيء يمنعكم عن ان تيعشوا على الارض وكأنها سماء مثل عيشكم بالتواضع. لان التواضع هو رأس فرح الهي، وكل محبة اخوية وكل محبة الهية حتى نعيش حياة طاهرة كل حين، الآن وكل أوان والى دهر الداهرين امين.

عن السراج الأرثوذكسي

يا مَنْ تُحبُّون التعليم وتتوقون إلى الإصغاء اقبلوا مرَّةً ثانية الكلمات المقدَّسة، وأَبهِجوا أنفسكم بعسل الحكمة، لأنه هكذا هو مكتوب: «الكلمات الحسنة شهدٌ وعَسَل، وحلاوتها شفاءٌ للنفس» (أمثال ١٦:٢٤ سبعينية). لأنَّ عسل النحل حلو جدًّا، وينفع نفس الإنسان بِطُرقٍ كثيرة، أمَّا العسل **الإلهي الخلاصي** فيجعل أولئك الذين يستقرّ فيهم ماهرين في كُلِّ عملٍ صالح ويعلّمهم طُرق التقدُّم الرُّوحي، لذلك هلُّموا كما قُلت نقبل ثانية في الذهن والقلب كلمات **المخلِّص**، لأنَّه يعلّمنا بأي طريقة ينبغي أن نُقَدِّم طلباتنا إليه، حتى لا يكون فعل الصلاة بلا مكافأة لمن يمارسونه، ولكي لا يثير أحدٌ **غضب الله** المانح العطايا من الأعالي بطلبه الأشياء التي يتخيَّل أنه سوف ينال منها بعض المنفعة، لأنه مكتوب: «قَدْ يَكُونُ بَارٌّ يَهلَكُ فِي بِرِّهِ» (جامعة ٧:١٥).

أتوسَّل إليكم أن تنظروا شاهدًا على هذا مُصَوَّرًا بوضوح في المَثَل الموضوع أمامنا. إنسانٌ صلَّى وأُدِين لأنّه لم يُقَدِّم صلاته بحكمة، لأنه يقول: «**إِنْسَانَانِ صَعِدَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا، وَاحِدٌ فَرِّيسِيٌّ وَالآخَرُ عَشَّارٌ**.». وهذا يلزمنا أن نعجب بالترتيب الحكيم **للمسيح** مخلّصنا كلنا في كُل ما يفعله ويقوله. لأنَّه بالمثل الذي سبقت قراءته علينا، فإنه يدعونا إلى الاجتهاد، إلى واجب تقديم الصلاة بلا انقطاع لأنَّ الانجيلي قال: «وَقَالَ لَهُمْ أَيْضًا مَثَلاً فِي أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُصَلَّى كُلَّ حِينٍ وَلاَ يُمَلَّ» (لوقا ١٨:١). لذلك أَلَحَّ عليهم أن يجتهدوا في الصلاة كُل حين، ولكن كما قُلت، لئلا بصَلاتنا بمُثابرة ولكن بدون تمييز نُغضِب مَن نتضَرَّع إليه، فإنّه يعرض لنا بطريقة ممتازة بأية طريقة ينبغي أن نكون مجتهدين في الصلاة، هو يقول:

«إِنْسَانَانِ صَعِدَا إِلَى الْهَيْكَلِ لِيُصَلِّيَا،». أتوسَّل إليكم أن تُلاحظوا هنا عدم المحاباة والنزاهة التامة التي للطبيعة التي لا تُخطىء، لأنه يُسمِّي من كانا يُصليّان: «**إِنْسَانَانِ**»، فهو لا يَنظر إلى الغِنَى والقوّة، بل ينظر إلى التَّساوي الطبيعيّ بينهما، ويعتبر كُل الذين يسكنون على الأرض بَشَرًا، كما لا يختلفون في شيء بعضهم عن بعض، وماذا كانت طريقة صلاتهما؟ يقول (النَّصّ):

«أَمَّا الْفَرِّيسِيُّ فَوَقَفَ يُصَلِّي فِي نَفْسِهِ هكَذَا: اَللّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةِ، وَلاَ مِثْلَ هذَا الْعَشَّارِ».

واضحةٌ تمامًا **أخطاء الفريسي الكثيرة**، أول كُل شيء **هو منتفخ وعديم الفهم لأنه امتَدَحَ نفسه**، مع أنَّ الكتاب المقدَّس يصيح عاليًا: «ليمدحك الآخر لا فمك، الأجنبي لا شفتاك.» (أمثال ٢٧:٢ سبعينية). لكن يمكن للمرءِ أن يقول له عن حقّ: أيُّها السيِّد الشَّريف لاحظ أنَّ أولئك الذين يعيشون في ممارسة الأفعال الصالحة والمقدَّسة – كما يكن للمرء أن يَرى – هُم غير مستعدين بالمرَّة أن ينصتوا **لكلمات المداهنين**، بل حتى وإن امتدحهم الناس، ففي الغالب يغطيهم الخجل، كما يخفضون أبصارهم إلى الأرض ويلتمسون الصَّمت من أولئك الذين يمتدحونهم.

أمّا **هذا الفرّيسي الذي لا يخجل ولا يستحي**، فإنّه يمتدح نفسه ويمجّدها على أنه أفضَل **من الخاطفين والظالمين والزُّناة**. ولكن كيف فاتَ عليك أن كون الإنسان أفضل ممن هم أردياء، لا يثبت بالضرورة، وكأمر بديهي أنه يكون جديرًا بالإعجاب، بل حريّ بك أن تنافس الفُضَلاءُ الذين يفضلونك. (**فَضَلَ صَاحِبَهُ : غَلَبَهُ فِي الفَضْلِ فَضَلَ عَلَى غَيْرِهِ – الفُضلاء جمع فضيل**)، فإنَّ هذا هو الأمر النبيل والمُكَرَّم والذي يُدْخِل

الإنسان في مصاف الذين يُمدَحون عن استحقاق.

لذلك يلزم ألَّا تتلوَّث فضيلتنا بالخطأ، بل ينبغي أن تكون مُخلصة وبلا عيب وخالية من كُل ما يمكن أن يجلب لومًا. لأنه ما المنفعة في أن تصوم مرتين في الأسبوع إن كنت تفعل هذا (**الصوم**) فقط كمبرّر **لجهلك وغرورك وتصير متكبرًا وأنانيًّا ومُتشامخًا؟** أنتَ تُعطي عُشر ممتلكاتك وتتباهى بهذا، لكنك من ناحية أُخرى تُثير **غضب الله** بإدانتك للناس عمومًا واتهامك للآخرين، وأنتَ نفسك منتفخ رغم أنك لم تُكلَّل بالشَّهادة **الإلهيَّة** للبرِّ، بل على العكس تكدّس المديح لنفسك، إذ يقول النَّصّ: «لِأَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِفِينَ». أيُّها **الفرّيسي** هدئ نفسك «وضَع بابًا ومزلاجًا للسانك» (انظر مز ١٤٠ :٣ سبعينية). فأنتَ تُكلِّم **الله** الذي يعرف كُل الأشياء. انتظر حُكم الديَّان. ليس أحد من أولئك الماهرين في الكفاح يُتوّج نفسه، ولا ينال أحد الإكليل من ذاته بل ينتظر استدعاء الحَكَمْ. **خَفِّض من غلوائك لأنَّ العجرفة ملعونة ومكروهة** من **الله** . لذلك فلأنك تصوم بذهن منتفخ، فَبِفعلك هذا لن تنتفع شيئًا، وتعبك سيكون بلا مكافأة إذ خلطت الروث مع الطيب. بل حتى حسب ناموس **موسى** فالذبيحة التي بها عيب لا تَصلُح للتقديم **لله**. لأنّه قيل له عن الغنم والبقر التي تُقدَّم ذبيحة ينبغي ألَّا يكون فيها عيب (انظر لا ٢٢ :٢١) ، لذلك فحيث أنَّ صومك مصحوبٌ **بالكبرياء** فيجب أن تتوقَّع أن تسمع **الله** يقول: «أَلَيْسَ هذَا صَوْمًا أَخْتَارُهُ يَقُولُ الرَّب» (إش ٥٨ :٦).

أنتَ تُقَدِّم العشور لكنك بطريقة أُخرى تُسيء لمن تُكرّمه، بكونك تدين البَشَر عمومًا. هذا تصرُّف غريب عن الذِّهن الذي يخاف **الله**، لأن **المسيح** نفسه قال: «وَلاَ تَدِينُوا فَلاَ تُدَانُوا. لاَ تَقْضُوا عَلَى أَحَدٍ فَلاَ يُقْضَى عَلَيْكُمْ.» (لو٦ :٣٧). ويقول أيضًا واحد من تلاميذه: «وَاحِدٌ هُوَ وَاضِعُ النَّامُوسِ، الْقَادِرُ أَنْ يُخَلِّصَ وَيُهْلِكَ. فَمَنْ أَنْتَ يَا مَنْ تَدِينُ غَيْرَكَ؟» (يعقوب ٤ :١٢). لأنَّ الانسان ذا الصحة الجيّدة لا ينبغي أن يسخر من إنسان مريض بسبب أنه مُلقَى وطريح الفراش، بل حريٌّ به أن يخاف لئلا يصير هو نفسه ضحيّة لأنه مُلقَى بسبب آلام مشابهة. ينبغي لمن هو في معركة، ألَّا يمتدح نفسه بسبب أنه أفلت من البليّة وغيره سقط فيها، لأنَّ ضُعف الآخرين ليس موضوعًا مناسبًا لمدح أولئك الذين هُم في صحة جيِّدة، بل حتى وإن كان الإنسان في صحة قويّة أكثر من المعتاد فلا ينبغي أن ينال مجدًا بسبب هذا. هذه هي إذًا كانت حالة **الفرّيسي المُحب لنفسه.**

لكن ماذا **عن العشَّار؟** يقول الرَّب إنه وَقَفَ من بعيد بدون أن يجرؤ أن يرفع عينيه إلى فوق. ها أنتَ تراه يمتنع عن كُل جسارة في الكلام كَمَن ليسَ له حَقّ في ذلك وهو **مضروب بتأديبات الضمير**، لأنه كان يخشى أن يراه حتى **الله**، بسبب إنه **كان مُهملًا في ناموسه ويسلك حياة الخلاعة والفجور**. ها انت ترى أيضًا أنه يدين شَقاء نفسه بواسطة تصرّفه الخارجي، لأنه بينما وَقَفَ **الفرّيسي الأحمق** متجاسرًا ومنتفخًا ورافعًا عينيه بلا تردُّد وهو يشهد لنفسه ويتباهى، أمَّا الآخر فكان يشعر بالخزي بسبب سلوكه، ويخاف من **دَيَّانه ويقرع صدره ويعترف بخطاياه**، وكأنه يُظهِر مرضه للطبيب **ويتوسَّل طالبًا الرَّحمة**، ماذا كانت النتيجة؟ لنسمع ما يقوله الديَّان : «هذَا نَزَلَ إِلَى بَيْتِهِ مُبَرَّرًا دُونَ ذَاكَ».

لذلك فلنُصَلِ بلا انقطاع بحسب تعبير **بولس الطوباوي** (١تسا ٥ :١٧)، ولكن لنحرص على أن نعمل ذلك بطريقة صحيحة. إن **محبّة الذَّات** لا تُرضِي **الله**، وهو يرفض **الكبرياء الفارغة والنظرة المتشامخة والانتفاخ**، بسبب الأمور التي لا قيمة لها، بل حتى ولو كان الإنسان متَّزِنًا فلا ينبغي أن يسقط في كبرياء مُخجلة، بل بالأحرى فليتذكَّر **المسيح** الذي يقول لِرُسله القديسين: «مَتَى فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ فَقُولُوا: إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ، لأَنَّنَا إِنَّمَا عَمِلْنَا مَا كَانَ يَجِبُ عَلَيْنَا» (لو ١٧ :١٠). لأننا مدينون **لله** فوق الكُل بالضرورة أن نخدمه كعبيد وبِطاعة مستعدة في كُلّ الأمور. ورغم أنَّكَ تعيش حياة فائقة وممتازة فيجب ألَّا تسأل **الرَّب** أُجرة بل حريٌّ بكَ أن تطلب منه عطيَّة، وهو لكونه صالحًا سوفَ يعطيك، وكَأَب مُحِب سوفَ يُساعدك، لذلك لا تمتنع عن القول: «اللّهُمَّ ارْحَمْنِي، أَنَا الْخَاطِئَ.». وَتَذَكَّر من يقول على فم إشعياء: «أَظهر خطاياك أَوَّلًا لكي تتبرَّر» (إش ٤٣ :٢٦ سبعينية)، وَتَذَكَّر أيضًا إنَّه ينتهر مَن لا يفعلون هكذا، ويقول: «هأَنَذَا أُحَاكِمُكِ لأَنَّكِ قُلْتِ: لَمْ أُخْطِئْ» (إر٢ :٣٥)، إفحص كلمات القديسين ، لأنَّ أحدهم يقول: « البارُّ يلوم نفسه في بدايَة كلامه» (أمثال ١٨ :١٧ سبعينية)، وآخر يقول: « قلت اعترف للرَّب بإثمي وأنتَ غفرت لي إثم قلبي» (مز ٣١ :٥ سبعينية).

فبماذا سوفَ يجيب عن هذا أولئك الذين يتبنَّونَ آراء **نوفاتيوس** (١) الجديدة ويقولون عن أنفسهم إنهم أنقياء؟ أية صلاة يمتدحون؟ هل **صلاة الفريسي** الذي بَرَّأَ نفسه، أم **صلاة العشَّار** الذي أدانَ نفسه؟ فإن قالوا إنَّها **صلاة الفريسي**، فإنَّهم يُقاومون الحُكم **الإلهي** لأنَّ (**الفرّيسي**) قد أُدينَ **كَمُتَكَبِّر**. ولكن إن قالوا إنَّها صلاة العشَّار، فلماذا يرفضون الاعتراف بعدم نقاوتهم؟ إنَّ **الله** يبرِّر بالتأكيد مَن يعرفون تعدياتهم جيِّدًا وهُم مستعدون للاعتراف بها، أمَّا أولئك الناس (**النوفاتيون**) فسيكون لهم **نصيب الفرّيسي**.

لذلك نقول: «لأَنَّنَا فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ نَعْثُرُ جَمِيعُنَا.» (يعقوب ٣ :٢)، ولا يوجد أحدٌ خالٍ **من دَنَس**، حتى ولو كانت حياته يومًا واحدًا على الأرض. إذن لنسأل **الله** الرَّحمة ، فإنْ فعلنا ذلك فإنَّ **المسيح** سوفَ يبرِّرنا، هذا الذي به ومعه لله الآب التسبيح والسُّلطان مع الرّوح القُدُس إلى دهر الدهور. آمين

---

١) – **نوفاتوس** (أو **نوفاتيوس**): كان كاهنًا في روما في القرن الثالث، وكان مُناوئًا لِأُسقفها كيرنيليوس، وكان يرفض قبول توبة الذين يُخطئون بعد المعموديّة. أُنظر:

Ph. Schaff, Church Histry Vol. II P 196

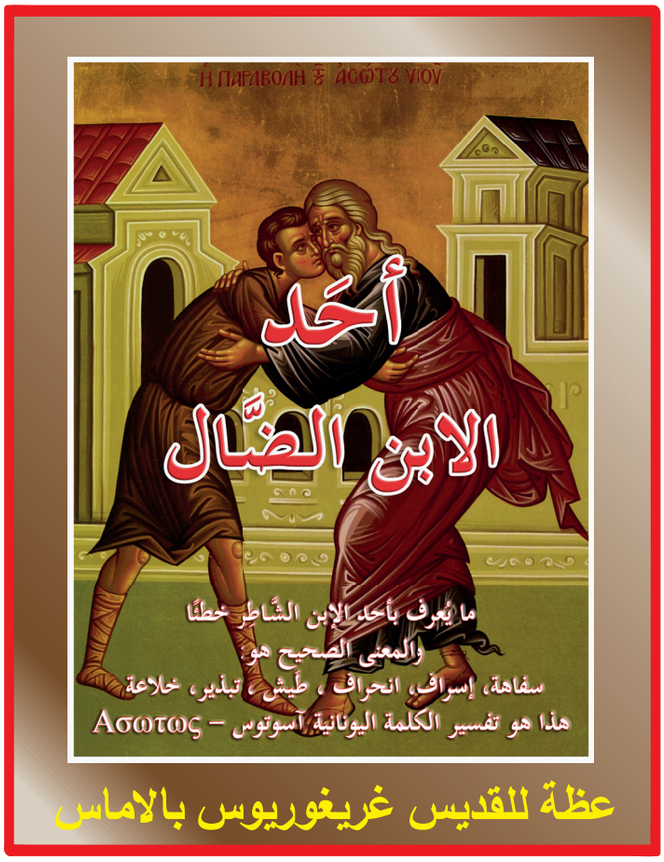

المقدمة:

١ – «سوف يحدث يومًا ما **جوع**»، قال **النبي** ناحبًا أورشليم، «هُوَذَا أَيَّامٌ تَأْتِي، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، أُرْسِلُ جُوعًا فِي الأَرْضِ، لاَ جُوعًا لِلْخُبْزِ، وَلاَ عَطَشًا لِلْمَاءِ، بَلْ لاسْتِمَاعِ كَلِمَاتِ الرَّبِّ.» (عاموس ٨: ١١). انه جوع الحرمان وفي الوقت نفسه شهيَّة الغذاء الضروري. إنما هناك أمرٌ أسوأ وأشقى من هذا الجوع حين يفتقر الواحد إلى ما هو ضروري للخلاص، وهو لا يشعر بالشقاء لعدم اشتهائه الخلاص. إنَّ من يجوع دون ان تكون لديه الضروريات يفتش في كُل مكان عن كَسرَة خبز. فإن وَجَدَ عجينًا مُعفِّنًا او قَدَّمَ له أحد خبزًا من الشعير أو شيئًا آخر من الطعام الرديء، يفرح به كثيرًا نظرًا إلى ما كان يوجعه سابقًا حين لم يَكُن لديه ما يأكله. هكذا أيضًا من يجوع روحيًّا، أي من لديه جوع الحرمان والشهيَّة معًا للغذاء الروحي، يَهيم سائلًا مَن كانت لديه موهبة التعليم من الله. فان وَجَدَ، يأكل بفرح خبزَ حياة النفس، أي كلمة الخلاص التي مَن يسأل عنها حتى الانقضاء (بإلحاح) لا بُدّ له ان يجدها «لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَسْأَلُ يَأْخُذُ، وَمَنْ يَطْلُبُ يَجِدُ، وَمَنْ يَقْرَعُ يُفْتَحُ لَهُ.» (لوقا ١١: ١٠).

٢ – هناك بعض الأشخاص الذين نظرًا لعَدَم تغذية فِكرهم لمدَّةٍ طويلة فقدوا شهيَّة الطعام. لذلك لا يلحظون الضَرر. فإن كان لديهم مُعلِّم يَصعب عليهم سماع تعاليمه، وإن لم يَكُن لديهم معلِّم لا يبحثون عن واحد **سالكين في الخطايا** أكثر من الابن الشاطر. لأنَّ ذاكَ بابتعاده حُرِمَ من الغذاء الأبوي والسيِّدي، فوقع في جوعٍ شديد وأَحَسَّ بتضوّره، فتابَ وأَتى طالبًا الغذاء **الإلهي** غيرَ المائت ونالَه، وتمتَّع بالتالي عن **طريق التوبة** بمواهب **الرُّوح القُدُس** حتى إنَّ غناه أثارَ **حسَد** أخيه الأكبر.

٣ – لكن من الأفضل أن نتناول الموضوع من أوَّله لكي نشرح، محبَّةً بِكُم، هذا المثل الإنجيلي الذي رُتبت اليوم تلاوته في الكنيسة.

«قالَ: **إنسانٌ** كان له ابنان» (لوقا ١٥: ١١).

٤ – يدعو الرَّب نفسه في هذا المثَل **إنسانًا**، وهذا ليس بالأمر الغريب فإذا أصبح فعلًا **إنسانًا لخلاصنا**، فَلِمَ العَجَب بأن يُظهر نفسه إنسانًا لمنفعتنا؟ هذا الذي هو دائمًا راعي نفوسنا وأجسادنا هو الرَّب والخالق معًا، هذا الذي وحده أظهر لنا أعمال محبَّة ورعاية حتى قَبلَ أن نَظهر الى الوجود.

الخَلق:

٥ – لأنه قبلَ وجودنا قد أَعَدَّ لنا ميراثًا أبديًا للملكوت، كما يقول هو نفسه: «تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ.» (متى ٢٥: ٣٤). من أجلنا خَلَقَ قبلنا الملائكة لكي يرسلهم كخدَّام «مِنْ أَجْلِ الْعَتِيدِينَ أَنْ يَرِثُوا الْخَلاَصَ!.» (عب ١: ١٤).

لقد بَسَطَ السماء، من أجلنا، قبلنا في كُل العالم المحسوس، كما لو أنَّه وضع خيمة عامة ومشتركة فوقنا جميعًا خلال هذه الحياة العابرة. هو نفسه الدائم الحركة والكثير الحركة وغير المتحرك. انه لا يتحرَّك لكي لا يسبب للقاطنين أذيّة بانتقاله. هو كثير التحرك لكي ينحصر في مكانه بحركاته المضادة. وهو دائم الحركة بحدِّ ذاته يُسَيِّر معه بحكمة مجموعة الكواكب لكي نتعلَّم من كُل كوكب منها أنَّ حياتنا مؤقَّتة فنتنعَّم به حين يستقرّ فوق رؤوسنا إلى أن يحلّ مكانه كوكب آخر.

قبلنا ومن أجلنا وضع الكوكب الكبير لضبط النهار والكوكب الصغير لضبط الليل. جعل الكواكب الأُخرى والأنوار في الفَلَك تتحرَّك وتتواجد معه وتتبدَّل بأشكال عديدة لتكون علامة للزمن والأوقات. لا أحد يحتاج إلى هذه، لا الطبيعة العقليّة الفائقة الحُسن، ولا طبيعة الحيوانات غير العاقلة التي تحيا فقط بالحواس. لقد جُعِلَت هذه لنا لكي ننعم بالهِبَات الأُخرى وبجمال المنظورات فنُدرِك بالفِكر هذه العلامات.

٦ – لنا وقَبلنا أسَّسَ الأرض، بسَطَ البحر ونفث عليها الهواء بغزارة وأشعَل فوقه بحكمة فائقة طبيعة النار لكيما تتعدَّل برودة السفليات الفائقة، فتدور في محور ثابت ضابطة انتشارها. ان الحيوانات غير العاقلة وان احتاجت إليها للبقاء إلَّا أنَّها خُلِقَت قبلنا لخدمة البَشَر كما يترنَّم **النبي داود**: «الْمُنْبِتُ عُشْبًا لِلْبَهَائِمِ، وَخُضْرَةً لِخِدْمَةِ الإِنْسَانِ، لإِخْرَاجِ خُبْزٍ مِنَ الأَرْضِ» (مزمور ١٠٣: ١٤).

٧ – إذًا خلَقَ جابلنا هذا العالم من العَدَم قبل جَبْلنا نحنُ، وذلك لِقوام جسدنا. أي أمر لم يصنع **السيِّد** المحبّ الصلاح لإصلاح الأخلاق وللإرشاد إلى الفضيلة ؟ إنَّ هذا العالم نفسه قد أُقيم كمرآة لما هو فوق العالم كما نَصل إليها بالثاوريّا الروحيّة حوله كما بواسطة سُلّم عجائبي. لقد وضع داخلنا ناموسًا طبيعيًّا كمحطة غير خاضعة للانثناء، كقاضٍ لا يَخطأ، ومعلّم غير كاذب. إنَّه **الضمير الشخصي** لكل فَردٍ. هكذا إن كُنَّا بالعقل مستجمعين أنفسنا لن نحتاج الى معلّم آخر لفهم الصَّالح. ان جُزنا بشعورنا العقل حسنًا نحو الخارج، فالأمور غير المنظورة تُرى مُدرَكة بالمصنوعات كما يقول **الرسول بولس**: «لأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةَ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاَهُوتُهُ،

حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ.» (رومية ١:٢٠).

٨ – إذًا بما أنه بالطبيعة وبالخليقة أظهر تعليم الفضائل، فهو نفسه وضع **الملائكة كَحُرَّاس**، أبرزَ الآباء والأنبياء للإرشاد، أظهَرَ آيات ومُعجزات تقود إلى الإيمان، وأعطانا الناموس المكتوب مُساعدًا لناموس طبيعتنا العقليّة وللتعليم بواسطة الخليقة. أخيرًا بما انّنا ازدرينا بها كلّها (**يا لَكَسلنا ولَطول أناته وعنايته الفائقة لنا**) قَدَّمَ نفسه من أجلنا مُفرِغًا غِنى لاهوته لكِياننا الذليل، آخذًا طبيعتنا وصائرًا انسانًا مثلنا فأصبح معلّمنا. انه يعلّمنا عن عظمة محبّته للبَشَر مُشيرًا اليها بالقول والعمل، مُرشدًا إيّانا في الوقت نفسه إلى التشبّه به في المحبة بينما يُحذِّر تلاميذه من **قساوة القلب**.

٩ – بما أنَّ **المحبة** تولَد داخل القيّمين على الأعمال كما عند رعاة الأغنام، فهي توجد أيضًا عند أرباب الملكيات لكن ليس بالقدر الذي توجد فيه عند ذوي الرباط الدموي والقرابة. ومن بين هؤلاء خصوصًا محبة الآباء للأبناء. فمنهم نستدل على محبتة للبَشَر، وهو القائل عن نفسه انه إنسان وأب لنا جميعًا. لانه من جهةٍ أصبح من أجلنا انسانًا حقيقيًّا، ومن جهةٍ ثانية أعادَ ولادتنا بالمعمودية الإلهيّة وبنعمة الرُّوح القُدُس.

❁ «وقالَ: **إنسانٌ** كان له ابنان» (لوقا ١٥:١١).

١٠ – لأنَّ الاختلاف في الرأي فرَّقَ الطبيعة الواحدة الى اثنين، والتمييز بين الفضيلة والرذيلة جمع ورتَّب الكثيرين الى فريقين. في بعض الأحيان نتكلّم عن فرد كأنّه اثنان بحسب الشخصيّة (الأقنوم) وذلك عندما يكون له ازدواجية في الخَلق، ونتكلّم عن مجموعة بالمُفرَد حينما يتوافقون فيما بينهم.

❁ «فَقَالَ أَصْغَرُهُمَا لأَبِيهِ: يَا أَبِي أَعْطِنِي الْقِسْمَ الَّذِي يُصِيبُنِي مِنَ الْمَالِ. فَقَسَمَ لَهُمَا مَعِيشَتَهُ.» (لوقا ١٥:١٢).

ملحوظة: « يظهر الابن الاصغر غير عاقل، لانه يتقدَّم بطلبه بفتوّة وتهوُّر **انّ الخطيئة التي في ذهنه المُصَوِّرة عصيانه هي حديثة العهد** لانها وُجِدَت لاحقًا نتيجة لارادتنا السيّئة. **فالفضيلة** هي قديمة العهد لانها كانت عند الله ازليّة، وقد وُضِعَت من قِبَله في نفسنا منذ البدء بحسب النعمة.» (المترجم).

١١ – يا لَلْجهالة: إنه لم يسجد له، لم يتوسَّل اليه، بل كَلَّمَه ببساطة. لم يَكتَفِ بهذا، بل طالبَ بحصته كأنه يستوجب العطاء من ذاك الذي يعطي الجميع بحسب النعمة. (المُعطي هو الله. يفترض المفسِّر ان الموضوع مرتبط دائمًا بعلاقة الانسان بالآب السماوي).

أعطِني حَقِي من الميراث حسب الشريعة، حَقِي وَفقًا للحَقّ. أية شريعة هذه، ومن أين هذا الحَقّ أن يكون الآباء مَدينين للبنين؟ انَّ العكس يجب ان يحصل وهو ان البنين مدينون للآباء كما تُشير الطبيعة نفسها بما انهم اتخذوا الوجود من قِبَل اولئك، لكن هذا دليل على التفكير المستحدث العهد.

١٢ – إذًا ماذا صنع هذا الذي يُمطِر على الصدّيقين والظالمين، الذي يُشرق الشمس على الأشرار والصَّالحين؟ «قَسَّم لهما معيشته». أُنظر كيف هذا «**الانسان**» والأب ليسَ بمحتاج. وإلَّا لمَا كان قَسَّمَ الميراث على اثنين فقط ولا الى حصّتين فقط، بل لكان احتفظ لنفسه بحصة ثالثة. لكنه كإله كما يقول **النبيّ داود**: «قُلْتُ لِلرَّبِّ: «أَنْتَ سَيِّدِي. خَيْرِي لاَ شَيْءَ غَيْرُكَ» (مزمور ١٦:٢). ليسَ بحاجة لخيرات من هذا النوع. لقد وَزَّعَ الميراثَ كلّه على هذين الولدين أي على العالم أجمع. لأنه كما تنقسم الطبيعة الواحدة بسبب الآراء المختلفة، هكذا ينقسم.

١٤ – إذًا العالم بحسب الاستخدامات المختلفة. بالحقيقة يقول الأوّل لله: «طُولَ النَّهَارِ بَسَطْتُ إِلَيْكَ يَدَيَّ.» (مزمور ٨٧:٩)، و «سَبْعَ مَرَّاتٍ فِي النَّهَارِ سَبَّحْتُكَ عَلَى أَحْكَامِ عَدْلِكَ.» (مزمور ١١٨:١٦٤)، و «فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ أَقُومُ لأَحْمَدَكَ عَلَى أَحْكَامِ بِرِّكَ.» (مزمور ١١٨:٦٢)، و «إِلَى الرَّبِّ فِي ضِيقِي صَرَخْتُ» (مزمور ١١٩:١) ، و «لأَنِّي اتَّكَلْتُ عَلَى كَلاَمِكَ.» (مزمور ١١٨:٤٢)، و «سَأَسْتَأْصِلِ بِالْغَدَاةِ جَمِيعَ خَطَأَةِ الأَرْضِ» (مزمور ١٠٠:٨) أي قطعت كُل وثبات الجسد التي تتحرَّك نحو الذُّلّ. أمَّا الآخر فيُمضي أيامه في الخمر باحثًا عن مكان للشرب، ويُمضي لياليه بأعمال غير لائقة وغير شرعيّة، يسرع الى الدسائس في الخفاء أو الى مؤامرات جليّة، الى اقتناص الأموال والى مخطَّطاتٍ شرِّيرة. ألعلّهما لم يشتركا في الليل الواحد، في الشمس الواحدة، وقبل هذه في الطبيعة نفسه؟ إلَّا أنهما قد استغلَّاها دون أن يَتَّفِقَ الواحد مع الآخر. لكن الله أقام الخليقة بدون انقسام على الجميع جاعلًا استخدامها بحسب مشيئة كُل واحد.

❁ «وَبَعْدَ أَيَّامٍ لَيْسَتْ بِكَثِيرَةٍ جَمَعَ الابْنُ الأَصْغَرُ كُلَّ شَيْءٍ وَسَافَرَ إِلَى كُورَةٍ بَعِيدَةٍ، وَهُنَاكَ بَذَّرَ مَالَهُ بِعَيْشٍ مُسْرِفٍ.» (لوقا ١٥:١٣).

ملحوظة: « الميراث المبعثر المبذّر هو قبل كُل شيء فكرنا (**النوس**) الذي يجب ان يكون مجموعًا على نفسه وعلى الله الفِكر الأسمى. تبذير الميراث هو **تشتّت الفِكر (النوس)** بسبب **الأهواء**. الفِكر هنا ترجمة للكلمة اليونانية nous » (المترجم).

١٣ – كيف لم يسافر فورًا بل انتظر ايامًا قليلة؟ انَّ **الشيطان الموحي بالشرّ** لا يعرض على الانسان في الوقت نفسه الغرابة (النمط الخاص بالعيش) والخطيئة، بل بدهاء وبتدريج يختلس الاستعداد شيئًا فشيئًا هامسًا لنا: «**يمكنك انت ان تعيش وحدك دون ان تتبع كنيسة الله ودون ان تتنبّه لتعليم الكنيسة. باستطاعتك ان تفقه الواجب بمفردك دون ان تبتعد عن الصلاح**». عندما ينقطع شخص ما عن وفاق الشركة وعن الطّاعة للمعلّمين الشرفاء يبتعد عن النظر الإلهي (النعمة الإلهيّة التي تصونه) مستسلمًا **للاعمال الشرّيرة**. عندما نَصِل الى الشرّ عن طريق الخطيئة نبتعد عن الله كما يقول **النبي داود**: «لاَ يَثْبُتُ ذَوُو المَعَاصِي قُدَّامَ عَيْنَيْكَ.» (مزمور ٥:٥).

١٤ – إذًا بما ان الابن الاصغر ابتعد بهذه الطريقة وسافر الى بلد بعيد « بَدَّدَ مَالَهُ بِعَيْشٍ مُسْرِفٍ». لكن كيف بدَّدَ ماله؟ ان فكرنا المزروع فينا يفوق كُل جوهر وكُل ممتلكاتنا. طالما نحنُ ثابتون في مناهج الخلاص يكون الفكر (**النوس**) مجموعًا حول ذاته وحول الله الفِكر الأوّلي والأسمى. **لكن عندما نفتح باب الأهواء يتشتّت الفِكر فورًا** طائفًا باستمرار حول الجسديات والأرضيات، نحو الملذات المتعدّدة لأشكال

والأفكار الشهوانيّة. ان غِنَى الفِكر هو الحكمة (التعقُّل) التي تبقى داخله مميّزة الأفضل من الأسوأ طالما يبقى مُنضبِطًا بوصايا الآب العلوي وإرشاده. لكن عند عصيانه إيّاها تتبدّد الحكمة الى زِنَى وجهالة ينتج عنها سيّئات مختلفة.

١٥ – سوفَ ترى ان كُل فضائلنا وقوانا هي في الحقيقة غنانا الذي يتبدَّد عند جنوحنا الى الشرّ الكثير الأوجه. فالفكر (**النوس**) يحوّل رغبته نحو الله الواحد والحقيقي، الصالح وحده، المُشتهَى وحده، المانح وحده اللّذة معتقة من كُل ألَم. لكن عند تلاشي الفكر تتلاشى قوّة النفس الموجّهة نحو المحبة الحقيقيّة وتسقط عن المُشتَهى بالحقيقة وتتحوَّل نحو الشهوات المختلفة وتَتبدَّد، فتنجذب من جهة الى اشتهاء الأطعمة غير الضروريّة، ومن جهة أخرى الى اشتهاء أشياء غير مُجدِية، ومن جهة ثالثة الى الرغبة **في المجد الباطل**. هكذا يتجرأ الانسان الشقيّ وينجذب بهذه الاهتمامات المتنوّعة فلا يعود قادرًا على تنشُّق الهواء المشترك ولا الامتنان من أشعة الشمس المُشرقة على الجميع بغزارة.

١٦ – إن لم يبتعد فكرنا هذا نفسه عن الله، يرفع الغضب الموجود داخلنا فقط ضدّ الشيطان، ويستخدم رجولة النفس ضدّ الاهواء الرديئة، ضدّ رؤساء الظلام وضدّ الارواح الشريرة. لكن ان لم يتمسّك بوصايا الربّ الالهيّة التي تجنّده فانه يتشاجر مع أقربائه، يغيظ أبناء جنسه ، يثور على كُل واحد لا يُجاري مشتهياته المخالفة للصواب ويُصبح واحسرتاه، انسانًا قاتلًا للانسان، مُشابهًا ليس فقط البهائم غير العاقلة بل للزحافات والحيوانات السَّامة. يُصبح عقربًا، حيّةً، ابن الافاعي ، هذا الذي كان قد خُلِقَ لكي يكون برتبة أبناء الله. أرأيتَ كيفَ انّه بدَّدَ ميراثه وأضاعه؟

❁ «فَلَمَّا أَنْفَقَ كُلَّ شَيْءٍ، حَدَثَ جُوعٌ شَدِيدٌ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ، فَابْتَدَأَ يَحْتَاجُ. فَمَضَى وَالْتَصَقَ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْكُورَةِ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى حُقُولِهِ لِيَرْعَى خَنَازِيرَ. وَكَانَ يَشْتَهِي أَنْ يَمْلأَ بَطْنَهُ مِنَ الْخُرُّنُوبِ الَّذِي كَانَتِ الْخَنَازِيرُ تَأْكُلُهُ، فَلَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ.» (لوقا ١٥: ١٤-١٦).

بما أنَّ الابن الاصغر بدَّدَ كُل ماله ابتدأ يحتاج ووقع في الجوع. لكنه لم يُفكِّر بعد بالعودة لأنه كان ضالًا. لذا « مَضَى وَالْتَصَقَ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْكُورَةِ ...».

١٧ – مَن هُم سُكَّان ورؤساء البلد البعيد عن الله؟ بالطبع انهم **الشياطين** الذين قال عنهم ابن الآب السَّماوي انهم قوّاد الفحشاء، رؤساء العشَّارين، السارقون والمتمرّدون. إذ إنَّ راعي الخنازير في حياته يتعرَّض لكل الأهواء نظرًا للنتانة الفائقة، فالخنازير يتمرّغون بكل أنواع الشهوات البربريّة. عندما أَصبَحَ هذا راعي خنازير أي كأوّل فيما بينها في الملذّات، لم يستطع الشبع من الخرنوب الذي تأكله، أي انه لم يَعُد يستطيع الشبع من ملذاته.

١٨ – لكن كيف لا تكفي طبيعة الجسد أن تخدم حمية الفاسق؟ انَّ الذهب والفضة إن توفَّرا لِمُحِب الذهب والفضة تزيد الرغبة اليهما. وكلّما استُخْدِما ازداد الطلب عليهما. لكن العالم بأسره لا يكفي الجَشِعَ ومُحبَ السُّلطة. فأولئك هُم كثرة والعالم واحد. فكيف يمكن لواحدهم أن يُشبع شهواته؟ هكذا فإنَّ المتمرِّد على الله لا يمكنه ان يَشبَع لعَدَم استطاعة أحد أن يروي ظمأه. يقول: « لَمْ يُعْطِهِ أَحَدٌ»، فمن يستطيع أن يرويه؟ الله غاب عنه وهو الذي رؤيته وحده تُشبع الناظر اليه بدون تعب، وفقًا لما قاله النبي في مزموره: «وَأَشْبَعُ عِنْدَمَا يَتَجَلَّى لِي مُجْدُكَ» (مزمور ١٦: ١٥). لا يريد **الشيطان** إشباعه من الشهوات الدنيئة، وهذا امر طبيعي، إذ إنَّ التخمة من الأشياء المتبدّلة تُسبّب له تحوّلًا عن التعلّق بها. وخيرٌ له ألَّا يجعله أحد يتخم بها.

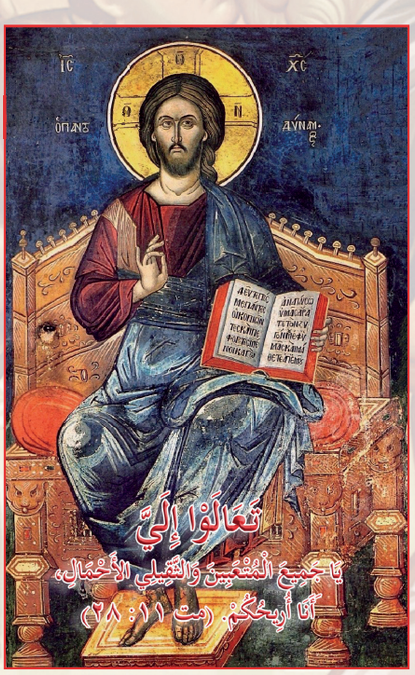

❁ «فَرَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَقَالَ: كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعًا! أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. اِجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ.» (لوقا ١٥: ١٧-١٩).

١٩ – لكن ما ان عادَ الابن الضَّال الى رُشده ونظر الى الحالة التي وصل اليها بكى نفسه قائلًا: «كَمْ مِنْ أَجِيرٍ لأَبِي يَفْضُلُ عَنْهُ الْخُبْزُ وَأَنَا أَهْلِكُ جُوعًا!» **مَن هُم الأُجراء؟** انهم الذين بتعب التوبة والتواضع ينالون أُجرة الخلاص. أبناء الله هُم الذين حُبًّا به يتبعون وصاياه طِبقًا لِمَا قال الرَّب: «إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي» (يو ١٤: ٢٣).

٢٠ – هكذا اذًا، بعد ان ابتعد الابن الاصغر عن البنوّة وتغرّب عن الوطن الشريف ووقع في الجوع، تيقّظ للشقاء الذي وصَلَ إليه فتواضع وتاب قائلًا: «أَقُومُ وَأَذْهَبُ إِلَى أَبِي وَأَقُولُ لَهُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ». حسنًا قُلنا في البداية إنَّ هذا الأب هو الله، إذ كيف يُمكن ان يُخطىء الى السماء الابن الذي قام على أبيه إن لم يَكُن هذا الأب سماويًا. يقول إذًا: «أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ» أي الى القديسين في السماء الساكنين فيها، «وإليك» أنتَ القاطن مع قديسيك فيها. «وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا. اِجْعَلْنِي كَأَحَدِ أَجْرَاكَ.». حسنًا يقول بتَعقُّل نتيجة اتضاعه الآني «اِجْعَلْنِي» إذ لا ينال أحد من نفسه درجات الفضيلة ان لم يَكُن قد نالها بنيّته أيضًا.

❁ «فَقَامَ وَجَاءَ إِلَى أَبِيهِ. وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَآهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ. فَقَالَ لَهُ الابْنُ: يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ، وَلَسْتُ مُسْتَحِقًّا بَعْدُ أَنْ أُدْعَى لَكَ ابْنًا.» (لوقا ١٥: ٢٠-٢١).

جاءَ الى أبيه وفي نفس الوقت ما زال بعيدًا. لذا تحنَّن ابوه عليه وركَضَ لِمُلاقاته. الانسان الذي يتوب في نفسه عن نيّة صالحة ويبتعد عن الخطيئة يصل الى الله. لكن بسبب العادات الرديئة والافكار المظلمة يبتعد كثيرًا عن الله، ويلزمه تحنّن وعون كبيران من الْعُلَى لكي يخلُصَ.

❁ «فَقَالَ الأَبُ لِعَبِيدِهِ: أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتَمًا فِي يَدِهِ، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ، وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ، لأَنَّ ابْنِي هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالاًّ فَوُجِدَ. فَابْتَدَأُوا يَفْرَحُونَ.» (لوقا ١٥: ٢٢-٢٤).

٢١ – لذا تنازل أبو الرأفات ولاقاه، عانقه وقبّله، طلب من عبيده، أي من الكهنة، أن يُلبسوه الحُلّة الأولى، أي البنوّة، التي كان قد سَبَقَ ولبسها أوّلًا بالمعموديّة المقدسة، وأن يضعوا خاتمًا في اصبعه أي في الجزء العملي للنفس المُعلَن باليَد، أن يختموها بالفضيلة كعربون للميراث الآتي. كذلك الحذاء في رِجْلَيْهِ يعني الحماية والتأمين الإلهيين اللَّذَيْنِ سيُقوّيانه لكي **يطأ الأفعى والعقرب وكُلّ قوّة العدوّ**. بعد ذلك أمَرَ أن يأتوا بالعجل المسمَّن ويذبحوه وان يجعلوا منه مأدبة. فالعجل هو نفسه الرَّب الذي أتى من خفايا ألوهيّته ومن عرشه الذي هو فوق الجميع، ولمَّا ظهر كإنسان على الأرض ذُبِحَ كالعجل لأجل خطايانا وهو مسمّن أي كالخبز المُعطَى لنا طعامًا.

٢٢ – إنَّ الله بهذه المناسبة يجعل الفرح والوليمة عامّين مع قدّيسيه مُجدّدًا بمحبّته الفائقة للبشر عاداتنا وقائلًا: « تَعَالُوا فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ».

❁ «وَكَانَ ابْنُهُ الأَكْبَرُ فِي الْحَقْلِ. فَلَمَّا جَاءَ وَقَرُبَ مِنَ الْبَيْتِ، سَمِعَ صَوْتَ آلاَتِ طَرَبٍ وَرَقْصًا. فَدَعَا وَاحِدًا مِنَ الْغِلْمَانِ وَسَأَلَهُ: مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ هذَا؟ فَقَالَ لَهُ: أَخُوكَ جَاءَ فَذَبَحَ أَبُوكَ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ، لأَنَّهُ قَبِلَهُ سَالِمًا. فَغَضِبَ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَدْخُلَ. فَخَرَجَ أَبُوهُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ.» (لوقا ١٥: ٢٥-٢٨).

لكن الابن الأكبر غضب، إنَّه يُذكِّر **باليهود** الذين اغتاظوا من الدعوة **وبالكتبة والعشّارين** الذين تعثّروا من قبول الرَّب للخطأة، ومن تناوله الطعام معهم. إن أردتَ أن تفهم هذا التصرُّف حتى من قِبَل الصدّيقين، وما الغرابة أنَّ البارَّ (الابن الأكبر) لا يستوعب غِنَى محبة الله الفائقة على كُل ادراك؟

❁ «يَا بُنَيَّ أَنْتَ مَعِي فِي كُلِّ حِينٍ، وَكُلُّ مَا لِي فَهُوَ لَكَ. وَلكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ، لأَنَّ أَخَاكَ هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًّا فَوُجِدَ.» (لوقا ١٥: ٣١-٣٢).

٢٣ – لذلك يُعزّيه أبو الجميع بأقوال مناسبة – «أَنْتَ مَعِي فِي كُلِّ حِينٍ» – جاعلًا إياه يشترك في الفرح المستديم. «وَلكِنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ نَفْرَحَ وَنُسَرَّ، لأَنَّ أَخَاكَ هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًّا فَوُجِدَ.». لقد كان **ميّتًا من جرّاء الخطيئة وعاش بالتوبة، كان ضالًّا** إذ لم يَكُن مع الله. وبما أنه وُجِدَ امتلأت السماء فرَحًا كما سَبَقَ وكُتِبَ: «إِنَّهُ هكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ» (لوقا ١٥: ٢٩-٣٠).

❁ «فَأَجَابَ وَقَالَ لأَبِيهِ: هَا أَنَا أَخْدِمُكَ سِنِينَ هذَا عَدَدُهَا، وَقَطُّ لَمْ أَتَجَاوَزْ وَصِيَّتَكَ، وَجَدْيًا لَمْ تُعْطِنِي قَطُّ لأَفْرَحَ مَعَ أَصْدِقَائِي. وَلكِنْ لَمَّا جَاءَ ابْنُكَ هذَا الَّذِي أَكَلَ مَعِيشَتَكَ مَعَ الزَّوَانِي، ذَبَحْتَ لَهُ الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ!» (لوقا ١٥: ٢٩-٣٠).

لماذا حَزِنَ الابن الأكبر؟ «لأنّي أنا أخدمك ...» هكذا قال، وهكذا نِعَمُ الله علينا هي فائقة لدرجة انَّ الملائكة تشتهي ان تطّلع عليها من جرّاء محبّته للبَشَر كما يقول **بطرس الرسول الهامة** في رسالته: «...الَّتِي تَشْتَهِي الْمَلاَئِكَةُ أَنْ تَطَّلِعَ عَلَيْهَا.» (١بطرس ١: ١٢). لكن الصدّيقين اشتهوا ان يأتي **المسيح** قبل ساعة مجيئه، وأيضًا ابراهيم اشتهى ان يرى يومه. لكنه بالطبع لم يأتِ في ذلك الوقت. ولمَّا جاءَ لم يأتِ ليدعو صدّيقين بل خطأة الى التوبة، لاسيّما وأنه صُلِبَ من أجلهم وهو الرَّافع خطيئة العالم لأنه: «وَلكِنْ حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا.» (رومية ٥: ٢٠).

٢٤ – كونه لا يُعطِي ولا جديًا واحدًا إلى الصدّيقين عندما يطلبون ذلك أي لم يُضَحِّ ولا بخاطىء واحد، يتّضح لنا هذا من أمور كثيرة خصوصًا من رؤيا **الشريف والمغبوط كاربّس (استُشهِدَ الاسقف كاربس في القرن الثاني في ١٣ تشرين الأوّل مع بابيلا وأغاثونيكُس)**. هذا **القديس** لم يُسْمَع له عندما لَعَنَ رِجالًا اشرارًا عديدين، وعندما قال لهم إنّه ليس من العدل ان يحيا رِجال مُلحدون مشوّهين طريق الرَّب المستقيم، لا بَل عندما جرّب السُّخط الإلهي سَمِعَ أقوالًا رهيبة أهّلته لمعرفة التسامح الإلهيّ غير الموصوف والفائق العقل. وَحُثَّ ليسَ فقط على عَدَم اللعن بل على ان يُصَلِّي من أجل الذين يعيشون حياة فاسقة، لأنَّ الله يمنح هؤلاء **مُهلة للتوبة**. إنَّ إله التائبين والآب الرؤوف يُبرهن ذلك ويُظهِر انه يقدِّم هِبات كبيرة وغزيرة للتائبين، ولهذا أعطى هذا المثل بهذه الطريقة.

خُلاصة:

إذًا لِنَشرَع يا إخوة بالتوبة بالأعمال ولننزع عنّا الشرّ ورعايته. لِنبقَ بعيدين عن الخنازير والخرنوب الذي يأكلونه أي عن الشهوات الممقوتة والملتصقين بها. **لِنَقِف بعيدين عن مرعى الشرّ أي العادات الرديئة. لنهرب من بلد الشهوات أي من الإلحاد والجشع والإفراط حيثُ جوعٌ رهيب للصالحات، وحيثُ تكون الشهوات أسوأ من الجوع.** لِنَركُض نحو أبي عدم الفساد، نحو مُعطي الحياة، سالكين طريق الحياة بالفضائل. هناك سوف نراه آتيًا لمُلاقاتنا من جرّاء محبّته للبشَر، فيمنحنا مغفرة الخطايا علامة لِعَدم الفساد وعُربونًا للميراث الآتي.

طالما كان الابن الضّال، حسب تعلّمنا من المُخَلِّص ، في بلد الأهواء، فحتى لو تفكّر بالتوبة وقال أقوالها إلّا انه لم يَنَل أي أمرٍ حسَن الى ان تَرَكَ **كُل أعمال الخطيئة** وأسرَعَ ماضيًا نحو أبيه حيثُ حصَلَ على ما لم يَكُن يُتَوَقَّع. بَقِيَ بتواضع وبكل تأكيد الى جانبه متعقِّلًا عاملًا بالحقّ وحافظًا تمامًا نعمة الله المُتَجَدِّدة.

عسانا جميعًا نحصل على هذه النعمة ونحافظ عليها بكمالها فنلتقي في الحياة الدهريّة **بالابن الضّال المخلَّص**، ونفرح معه في أورشليم العلوية أمّ الأحياء وكنيسة الآباء الأولين مع المسيح ربّنا الذي يليق له المجد الى المجد الى الأبد آمين.

الجنس الآمن – وطريق الله

أَتَساءل كيف سوفَ يَصِف المُؤَرِّخون عَصرَنا هذا. هل سيكون العَصر الذَرِّي؟ أَم العصر النَوَوِي؟ أم العَصر التكنولوجي؟ أَم كما وَصَفه أحدهم : **العَصر القَذِر**.

يوجد اليوم وَعيٌّ عظيمٌ ومجهودٌ خارقٌ لنظافة البيئة: الهواء الذي نستنشقه والماء الذي نشربه، الأنهار والبُحيرات والمُحيطات، ،كُلُّنا يحاول تنظيف القاذورات من الطعام، ومع ذلك فنحنُ نخشَى أن يتمّ فِعل القليل جِدًّا في المُقابل لتنظيف **النتانةِ الأخلاقيَّةِ لهذا العَصر**. نحنُ نعيش في عَصر أصبَحَ كُل شيء فيه جائزًا، حيث فَقَدَ **الزِّنا عارَه**، حتى قال أحدهم: «**توقَّعتُ أن يَحدُث كُل شيء ما يُمكن أن يصدمني كي لا أُصدَم فيما بَعد**»، وينادي مذهب اللَّذة – **وهو مَذهب ينادي به أصحابه بالسَّعْي وراء اللَّذة أيًّا وأينما كانت** – بأنَّه: « **عليكَ أن تتجوَّل لتحصُل كُل مرَّة على المُتعة التي تُريدها**».

يحاول كثيرون الحصول على هذه المُتعة مِن خلال العلاقات الجنسيِّة المُختلطة غير الشرعيَّة، فعندما يَشعرون بالعُزلة وسط بَشَر لا حَصرَ لعددهم، فإنَّهم يبدأون في سلسلة من اللقاءات الجنسيَّة، التي تتركهم بعد ذلك، وقد آلوا إلى ما كانوا عليه قبلَ: **منعزلين، محبوسين في قَفَص الصَّمت المُميت، والتقارُب الزَّائف، والفَقر الرُّوحي، والفراغ الداخلي، والمَلل، والقَرَف والنفور**.

إنَّ كُلّ هذه اللقاءات الفارغة تُذَكِّرنا بكلمات **الرَّب يسوع المسيح**:«كُلُّ مَنْ يَشْرَبُ مِنْ هذَا الْمَاءِ يَعْطَشُ أَيْضًا. وَلكِنْ مَنْ يَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الَّذِي أُعْطِيهِ أَنَا فَلَنْ يَعْطَشَ إِلَى الأَبَدِ، بَلِ الْمَاءُ الَّذِي أُعْطِيهِ يَصِيرُ فِيهِ يَنْبُوعَ مَاءٍ يَنْبَعُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ».(يو ٤: ١٣-١٤).

قال **قِس** عائدٌ من **سان فرانسيسكو** بعد أن أَدَّى عدَّة خدمات لمرضَى **الإيدز**: « **إنَّهم يرغبون في الجِنس بصورةٍ شنيعة، إنَّه يَقتلهم**». إلَّا أنَّ هناك بعض طلبة المرحلة الثانويَّة في بعض المُدن قد أدرَكوا الوضع جيِّدًا بعد أن بَلَغَتهُم الرسالة، وأدركوا أن الجنس ليس مُتعة على الإطلاق عندما يكون **السبب في موتهم**.

ومع ذلك، فليس الجنس هو الذي يقتلهم، لأنَّ **الجنس هو عطيّة من الله**، ولكن الخطأ هو في سوء استخدام الجِنس. **لا يظُن أَحَدٌ أنه يمكنه أن يُمارس الجنس بعيدًا عن وصايا الله، إنَّه بذلك يتجاهل الإرشادات التي وضعها مُخترع الجهاز، ويترك عنه دليل التعليمات**.

عندما يُصبح خاتم الزواج مُجرَّد جَوهرة، ولا يَكون فيما بعد **رَمزًا أبديًّا**، فليس الإنسان فقط هو الذي يخسَر نفسه بل والمجتمع أيضًا.

لقد أصبَحَ من الممكن لعالم اليوم أن يقول للمرأة التي أُمسِكَت في ذات الفعل: «**اذهبي في طريقكِ، إنَّ الجنس لم يَعُد خطيَّة بَعدُ**» أمَّا **يسوع** فقال: «اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا». (يو ٨: ١١).

يقول **يسوع**: «إنَّ جسدك مُقدَّس وطاهر وهيكل لحضوري، فمارس العفَّة حتى الزواج، وَكُن أمينًا لشريك حياتك حتى الموت».

العفة تبدأ مع تقديس الفِكر، بالهروب من الشَّرّ والمناظر والكلمات القبيحة والأخبار الشِّريرة بعزيمة وتصميم حتى الموت، لأنَّ أقل تهاون سيدفع عنه الانسان بعد ذلك ثمنًا باهظًا مِنَ النَدَم والجهاد للتخلّص من الآثار والنتائج.

يوجدُ رجاءٌ للخَطأَةِ:

عندما كتبَ **القدِّيس بولس الرسول** إلى المسيحيِّين الذين في **كورنثوس** الذين عاشوا في مدينة **غاصَّة تمامًا بالقذارة الفاضحة العلنيَّة وخاضعة للسيرة الجنسيَّة**، فإنَّه تكلَّم مباشرة وَصَوَّبَ على الأمر بصرامة وقال: «أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الظَّالِمِينَ لاَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ؟ لاَ تَضِلُّوا: لاَ

زُنَاةٌ وَلاَ عَبَدَةُ أَوْثَانٍ وَلاَ فَاسِقُونَ وَلاَ مَأْبُونُونَ وَلاَ مُضَاجِعُو ذُكُورٍ، وَلاَ سَارِقُونَ وَلاَ طَمَّاعُونَ وَلاَ سِكِّيرُونَ وَلاَ شَتَّامُونَ وَلاَ خَاطِفُونَ يَرِثُونَ مَلَكُوتَ اللهِ.» (١كور ٦: ٩-١٠). إلَّا أنَّ **القديس بولس** لم يتوقَّف عند هذه الجملة السلبيَّة التي تحرِم من دخول الملكوت، بل أعطَى أَمَلًا للخطأة التائبين عن كُل انواع الخطايا فأضَاف: «وَهكَذَا كَانَ أُنَاسٌ مِنْكُمْ. لكِنِ اغْتَسَلْتُمْ، بَلْ تَقَدَّسْتُمْ، بَلْ تَبَرَّرْتُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ وَبِرُوحِ إِلهِنَا.» (١كور٦: ١١). ثُمَّ استمر في الكلام ليقول إنَّ الجسد غير مخلوق **للزِّنا** بل هو هيكلٌ **للرُّوح القُدس**: «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ أَجْسَادَكُمْ هِيَ أَعْضَاءُ الْمَسِيحِ؟ أَفَآخُذُ أَعْضَاءَ الْمَسِيحِ ... أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ، الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ، وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟ لأَنَّكُمْ قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ.» (١كور ٦: ١٥، ١٩، ٢٠).

لَسْتُم لِأَنْفُسِكُم:

إنَّ جسدك ليسَ مُلْكَكَ. بَل هوَ مُعطًى من الله، ولكن ماذا عن الذين يستخدمون أجسادهم كما لو كانت مِلكًا لهم، ويفعلون ما يَروق لهم، وَيُضَيِّعون عطيَّة الطَّهارة السَّامية؟ ماذا عن هؤلاء الناس؟

هناك غُفران لهؤلاءِ النَّاس عند **صليب الربّ يسوع** حيثُ أخَذَ جميع خطايانا على نفسه وَطَهَّرها بواسطة **دَمه المانح الحياة**، الذي نتناوله الآن في سِرّ الإفخارستيَّا، وهناك اليوم إمكانيَّة النَّقاء والقداسة والاكتمال: «**خليقة جديدة**» مُكتَمِلَة للمستعدِّين أن يقبلوها. **الله** لن يستعيد بتوليَّة الانسان ولكنه يستعيد عفَّته وفضيلته. **الله** يدعونا للتوبة حتى نعود إلى أذرع أبينا السَّماوي الذي ينتظرنا لِيَحْتَضِننا ويُسامحنا.

هل الجنس غير المشروع أصبح أيقونتنا الجديدة:

دَعني أُشارِكك جزءًا من مقال قرأته مؤخَّرًا:

إنَّ المسيحيِّين ليسوا مُتَصَنِّعي حشمة أو مُتَكَلِّفي حياء، نحنُ نحب الجنس ونُوَقِّره ونشكر الله عليه، ولكن – وهنا نختلف جذريًّا مع مجتمعنا – نحنُ لا نرَى الجنس كَحَق أو غاية في ذاته، بل ككيان يحتاج الى ترويض وتهذيب، عندما نَرفُض تعدُّد العلاقات أو التبادلات الأُخرى المختلفة في الزَّواج، فنحنُ نفعل ذلك دفاعًا عن الجنس الصحيح. إنَّه ليسَ من قَبيل تكلُّف الحياء أو الاحتشام أنَّ الكتاب المقدَّس يحضّ ويُدافع عن الزَّواج الدائم المُخْلِص، بين رجل وامرأة، ويدعو عن اقتناع داخلي للتخلِّي عن الحُريَّة المُفْرِطَة والحُبّ الخليع، لأنَّ الغاية من الجِنس إنَّما تأتي فقط مِن خلال علاقة زواج مُكرَّس.

إنَّ الرؤية المسيحيّة للحُب الزوجي الثابت هي قويَّة جدًّا، حتى إنَّ الضِّيقات تُصبح جذَّابة، وأحيانًا ينتج عنها مزيدٌ من الحُبّ والوِدّ. إنَّ الشيء الحقيقي هو الذي ينجح حقًّا، والنوع والطراز الحقيقي للجِنس هو الذي ينمو ويتأصَّل ويتعمَّق ويُسلِّم نفسه للجيل التالي.

ربَّما نُريد أن نُؤسِّس علاقات زواج طويلة الأمد لتكون هي: «أيقونتنا» عن الجِنس. إنَّ الأيقونة هي صورة ننظر إليها كنموذج، ونَدرسها ونتأمَّل فيها لأنَّها تَكشِف بعضًا مِن ملامح مجد الله في العالَم.

ولكن للأسف فقد جعَلَ العالَم من الجِنس أيقونته، ولهذا السبب تَجِد الجِنس في كُل قوائم المجلات، وفي كُل إعلان، وفي كُل فيلم يُوَجَّه للمُراهقين. وهذه الأيقونة تُصَوِّر فتاة خليعة أو شابًا مفتول العضَلات. إنَّها تُمَجِّد الجِنس وتَحتفي به للإرضاء الشخصي ولاستغلال الآخرين.

ولكن انظر إلى زوجين يحتفلان بذكرى زواجهما الخمسين، وَدَعْنا نجعلهما أيقونة الجنس الحقيقيَّة في نظرنا. قد يكون جسدا هذين الزوجين مُنحَنِيَيْن ضَعِيفَن، أو شعرهما نحيلًا أو قد اختفَى كُلِّيَّة، ولكن مع ذلك نَرَى فيهما شيئًا ما يجعلنا نُحَيِّهما. إنَّه مِن خلالهما، ومن خلالهما فقط، من خلال ذلك النوع مِن الحُبّ المُكرَّس، يَشِّع شيءٌ مِن مَجد الله.

هذا هو الجنس الذي يجب أن نُبَجِّله ونحتفِي به، ولهذا السبب نحنُ الذين لدينا: «الأُسس والقواعد الإنجيليَّة له»، علينا أن نقول «لا» ، ونرفُض أشياء كثيرة يريد الآخرون أن يفعلوها وَيُمارِسوها. خُلِقَ الجِنس لأجل الإنسان، لا الإنسان لأجل الجنس. مِثْل هذا المَثَل الأعلى هو مجيدٌ جدًّا، حتى أنَّه يجب علينا أن نتمسَّك به كإمكانية مُتاحة لنا. أنْ نفعل أي شيء غير هذا هو أن نسلِب الناس لَمحة من اكتمال قَصد الله للخليقة.

العفَّة:

إنَّ علاج الخطايا الجنسيَّة اليوم موجودٌ في كلمة مسيحيَّة قديمة، بالكاد نسمعها اليوم، إنَّها: «**العفَّة**».

العفة تعني عَدَم مُمارسة الجنس قبل الزواج، وممارسة الجنس في الزواج مع شريك الحياة وليسَ مع أي شخص آخر. كما تعني العفَّة أيضًا ضَبط النفس وأن يكون الفكر مُحتشمًا، كما تعني أنَّكَ لستَ حيوانًا تَحكمهُ الغريزة، ولكن أنتَ ابنٌ **للمسيح** مخلوقٌ على صورته، وأنَّك مسؤولٌ امام **الله** عن عَطيَّة الجِنس التي منحها لك.

العفة هي الحلُّ الوحيد الفعَّال بنسبة ١٠٠٪، فهي لا تُكلِّف شيئًا، وليست لها تأثيرات ضَارَّة، كما تجعلكَ مُتَحَكِّمًا ومُنضَبطًا في حياتك. العفَّة هي حَلُّ **الله لِعَدوَى وعَذاب الإيدز، وكافة الأمراض الجنسيَّة.**

يكتب **العالِم النفسي سي. إس. لِويس** فيقول:

أصبحت العفَّة أقل الفضائل المسيحيَّة المقبولة أو المُستَحَبَّة، ومع ذلك فليسَ بديلٌ عنها. إنَّ القانون المسيحي القديم هو: «إمَّا الزواج بإخلاص تام لشريك الحياة، وإمَّا الامتناع التَّام»، والآن أصبح هذا الأمر صعبًا جدًا وَمُضادًا لغريزتنا، ومِن ثَمَّ أصبَحَ علينا أن نُقَرِّر: إمَّا أن تكون المسيحيَّة خطأ، أو أنَّ غريزتنا الجنسيَّة – كما هو حادث الآن – قد انتهت إلى الخطأ، إمَّا هذا أو ذاك.

الله قادِر أن يُخَلِّص بالتَّمام:

إنَّ قوَّة سيادة الانسان على نفسه هي التي يفتقر الانسان إليها، والدليل على ذلك هو أنه كيف صار للانسان أن ينحَطَّ بسهولة

هابطًا، وصارَ من السَّهل أن نجد أُناسًا اليوم يتجرَّؤون أن يقولوا: «**لا استطيع ... لا استطيع أن أضبط هواي ... لا استطيع أن أُقاوم التجارب ... لا أستطيع أن أعيش حياة طاهرة في مجتمع اليوم ... لا أستطيع أن أذهب إلى الكنيسة كُل أحد ... لا أستطيع أن أُصَلِّي ... لا أستطيع ... لا أستطيع**».

مِن أين يمكن للإنسان أن ينال القوَّة التي تُمَكِّنه من قَهر ما هو غير مُلائم، قهر الضُّعف والخنوع؟ ليس من طريقٍ سوى ارتباطنا والتصاقنا بآخر كُلِّي القوَّة، إنَّه **الله في شخص المسيح**.

قِصَّة:

وقَفَ أب يراقب ابنه وهو يحاول هباءً في تحريك صخرة. لقد حاوَلَ وحاوَلَ، ولكن لم يستطع أن يُزحزحها. فسأله والده: «يا بُنَي، هل أنتَ متأكِّد أنَّكَ تستخدم كُل قوَّتك؟»، فأجاب الولد قائلًا: «طبعًا». فقال له الأب: «ولكنك لم تَدْعُني لِمُساعدَتِكَ».

كم من مرَّة ومرَّات حاولنا جادين أن نُزيل من حياتنا **خطيَّة أو شهوة استعبدتنا**. حاولنا ولكن بدون جَدوى، وذلك بسبب أنَّنا اعتمدنا تمامًا على قوَّتنا البشريّة المحدودة. لقد نسينا أنَّ لنا أبًا سماويًا كُلِّي القُدرة والقوّة، وهو يرغب في أن يأتي إلينا ويُساعدنا بقوّة هائلة، وهو الذي يقول عنه **القديس بولس**: «فَيَمْلأُ إِلهِي كُلَّ احْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.» (في ٤: ١٩).

هذا ليس مجرَّد كلام، إنما هو خبرة عمليّة واقعيّة حقيقيّة لأُناس إنما اختبروا **قوَّة المسيح** في حياتهم.

نحنُ نؤمن **بإله قادِر**. قادِر أن يقهر الخطيّة. قادر أن يمنح حياة جديدة. قادر أن يستجمع قِطَع الحياة المُحَطَّمة ويجعلها سالمة وصحيحة مرَّة ثانية. **إنَّه قادِر أن يفعل هذا إن سمحنا له، إن كُنَّا نتوب ونبحث عن غفرانه**. كيف يمكننا أن نستقبل هذه **القوّة الإلهيّة** لِنَسود على أنفسنا؟ ليسَ إلَّا طريق واحد، بالتصاقنا وارتباطنا **بربّنا يسوع المسيح، القادر، الكلِّي القوَّة**. ولكن كيف يمكننا أن نُلصِق أنفسنا **بالمسيح؟**

بالصلاة:

الصلاة فيها قوَّة، **موسى النبيّ** صَلَّى، فانشطَر البَحر. **إيليا** صَلَّى، فنزلت المياه على أرضٍ جافة. **دانيال** صلَّى، فانسَدَّت أفواه الأُسود. **بولس وسيلا** صَلَّيا، فانفتحت أبواب السجن.

كلمة الله:

كما توجد **قوَّة في كلمة الله**. قرأها **المغبوط أُغسطينوس** فتحوَّل. وآخرون قرأوها، فوجدوا أنها الباب إلى الحياة الجديدة. وآخرون قرأوها، فوجدوا قوّة لحياتهم اليوميّة. كتَبَ واحدٌ يقول:

«**كلمة الله لها أيدٍ وأرجُل، تجري وراء الإنسان وتُمسِك به بإحكام، اجعلها طليقة وانظر كم من أشياء عظيمة سوفَ تحدث**».

سِرّ التناول:

وكما توجد قوَّة في الصلاة وقوَّة في كلمة الله، ولكن بالأكثر جدًّا أعظم منبع للقوَّة للمسيحي هو **سِرّ التناول** «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَأْكُلُوا جَسَدَ ابْنِ الإِنْسَانِ وَتَشْرَبُوا دَمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمْ حَيَاةٌ فِيكُمْ. مَنْ يَأْكُلُ جَسَدِي وَيَشْرَبُ دَمِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَأَنَا أُقِيمُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ، لأَنَّ جَسَدِي مَأْكَلٌ حَق. وَدَمِي مَشْرَبٌ حَق. مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ.» (يو ٦: ٥٣-٥٦). هنا القوَّة، هنا القدرة، هنا الطاقة التي تضعف أمامها الذرّة إذا ما قورِنَت بها وتصير لا شيء وتافهة.

نصيحة روحيّة:

إحتَرِس من الاستهتار بحياة الطهارة والتعفُّف، فهذا الاستهتار سيكون له عواقبه الوخيمة، وتكون كَمَن يُلقِي نفسه **في هوَّة الهلاك**.

لابُدّ أن نقول بشجاعة: «**لا**» للخطيَّة، ولكلِّ ما يُدَنِّس الجسد والذِّهن والرُّوح، واحذر الاستخفاف بخطورة السُّقوط! لأنَّ هذا الاستخفاف يجعل النفس تتساهل مع الخطيَّة، وكُن على عِلم بأنَّ كثرة السماع والمُشاهدة للمناظر الخليعة المُعثِرَة يجعل للدنَس جذورًا دفينة في القلب.

قد لا تفطن وقتها لخطورتها وأثرها البعيد، حيثُ تنطبع الكلمات والصُّوَر على الذَّاكرة، ومع الأيام تتراكم تصوُّرات الخطيَّة وأفكار النجاسة بعضها فوق بعض، حتى تصير **جذوة نار تُؤَجِّج لهيب الشَّهوة في الجسد كلّه**، وحينئذ يكون السقوط المرير، ومع هذا السقوط يتولَّد عبء الشُّعور بالذَّنب الذي يستفحل أمره مع الأيام ويتحوَّل إلى كابوس مُزعج للنفس ومُبَدِّد لهدوء القلب وسلام الرُّوح.

لذلك لا **تَستَهِن بالصُّوَر والمناظر العارية والكلمات البذيئة والمشاهد الدنسة إذا وَقَعَت عليها عيناك واستحسنتها، لأنَّها سوفَ تُطاردك وتغريك للتنازل والتلذُّذ بها أكثر**، فإذا تهاونتَ معها في البداية، فسوفَ تتسلَّط عليك في النهاية بالرَّغم من إرادتك، فتهين طهارتك، وتُلَطِّخ ملابسك وَنِيَّتك، وَتُذِلُّ عقلك وتوردك موارد الهُزء، وتجعلك آلة في **يد الشيطان**، ترفضها فتتبعك، تجحدها فتتمَسَّك بك، تنساها فتتمثَّل أمامك ولا تتركك حتى تدفع لها ثمنًا باهظًا من وقتك وصبرك وعزيمتك.

إنَّ كثيرًا من شباب هذا الجيل باتوا يتتلمذون على أيدي مُعلِّمي الانحلال في مختلف وسائل الإعلام، فماذا ننتظر من ذهن مُشبَّع بأفكار الشرّ وصُور الانحلال سوى السُّقوط المريع، وفُقدان العفَّة، وخُسران كنز الحياة، وضياع الميراث الأبدي.

احترس لنفسِكَ، إنها مجازفة خطيرة **فالعَدُوُّ ماكِرٌ**، ربما يعرض بضاعته مكشوفة، أو ربما يُغَلِّفها بغلاف برَّاق لِيجذب الضحايا إلى شِباكه ويغريها على السُّقوط.

واعلم تمام العِلم أنَّ الخطيَّة ثمرة مُحرَّمة، لها بريق جذَّاب، ولكن آخرها علقم، فحلاوتها ممزوجة بمرارة، وعسلها مخلوط بالسمِّ.

الخطيَّة حِملٌ ثقيلٌ على الضمير، والشعور بالذَّنب مؤذٍ للنفس، والسَّاقط بالخطيَّة – بدون توبة – يستمر في السير في الظلمة على غير هداية ولا دراية، ومُجمَل حياته تكون كآبة وقلقًا وخوفًا داخليًا، وانقباضًا نفسيًّا في الليل والنهار. كما أنَّ السُّقوط في خطايا الدَّنس يُحوِّل نضارة النفس إلى ذبول، ويصير الجسد أتونًا مُستعرًا يوقِد الشهوات، يحرق نفسه بنفسه، إلى أن تضمحل قِوَى الإنسان ويذهب نور عينيه بلا رجعة! **وكم من أجساد أضمرتها الشَّهوة وأسكنتها القبور، وهي في ريعان الشباب بسبب استمرائها النجاسة** ... ناهيك عن فتور العلاقة مع الله وانقطاع الدَّالة التي يقف فيها الإنسان أمام خالقه.

لا تَنسَ، أنَّكَ بِقَدر ما تهرب من مجال الدَّنس والعثرة، وتُشغِل عقلك وجسدك في عملٍ مُفيد بَنَّاء، بِقَدر ما تفلت **من حِيَل العَدوّ المُخادِع وتنجو من فخاخه.**

وعليكَ أن تتذكَّر دائمًا، أنَّ السِّيرة المُقدَّسة تُكرِّم الله وتُمَجِّده، والنموّ الروحي معناه النموّ في حياة القداسة وفي معرفة الله، والثبات فيه أكثر. ومع هذا الثبات يظهر الثمر الرُّوحي في حياتك. إنَّ كُل الذين شربوا من نبع الرَّحمة، وارتووا من ينابيع الخلاص والغُفران، أثمَرت حياتهم عفَّةً ونقاء وفرحوا بالرَّب وابتهجوا بخلاصه. وهؤلاء الذين فَرِحوا بالرَّب وذاقوا حلاوة عِشرته، انفطمَت نفوسهم من شهوات الدُّنيا وأدناس الجسد، ذلك لأنَّهم شَبِعوا من محبَّة الله وارتووا من دَسم نعمته: «اَلنَّفْسُ الشَّبْعَانَةُ تَدُوسُ الْعَسَلَ» (أمثال ٢٧: ٧).

كيفَ تتحرّر من الخطيّة ؟

أولًا: بالإيمان بقوَّة الرَّب يسوع المسيح المُخَلِّص:

يستغلّ **عدوّ الخير** جهل الخاطىء **بقوَّة يسوع، الرَّب المُخَلِّص، وبقوَّة دَمِه المُحَرِّر والمُطَهِّر**؛ لكي يقنعه بعدم جدوى التوبة واستحالة الخلاص. هنا يبرز دور الإيمان وقيمته في الخلاص، فبدون هذا الإيمان في **قوَّة دَم يسوع الفادي**، والذي يُعتَبَر الخطوة الأولى للتحرُّر من الخطيَّة، يظلّ الخاطىء عبدًا للخطيَّة، رازحًا تحت نير عبوديَّتها.

فمهما كانت ميولك نحو الخطيَّة قويَّة، ومهما كانت العادات الشريِّرة مُسيطرة عليك، فَثِق بِأنَّ الله قادِر أن يُخَلِّصك وَيُحَرِّرَك منها، فتحيا حياة طاهرة بعد أن كنت تئن من عبوديَّة الخطيَّة ومرارتها. إنَّ وَعدَ الرَّب أمين وصادق: «فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا.» (يو ٨: ٣٦).

ثانيًا: قَطع كُل عُلاقة تربطك بالخطيَّة وأسبابها:

معروفٌ أنَّ النفس إذا انفتحت على مَلاهِي العالَم وشهواته ومُسلّياته، فإنَّها تتأثَّر بسهولة بروح العالَم، فيصير الفكر دُنيَويًّا شَهوانيًّا، كُل همّه في نزوات الجسد وملذَّات العالَم.

إنَّ وسائل الإعلام الهدَّامة انتشرت الآن وطَغَت وصارَت بمثابة مدارس للفَسَاد، يتعلَّم فيها الأبناء والبنات فنون الرذيلة ودروس النجاسة والانحلال والمجون، ليتخرَّج منها **جيل مُلتوٍ وشرِّير**.

عندما يفتح الانسان عينيه وأُذنيه على البرامج الخليعة، تترَسَّب المناظر القبيحة والكلمات الماجنة في الذَّاكرة، فيتشكَّل الذِّهن بحسبما يَرى ويسمع، وتلتهب الغرائز وتشتعل، وهذا بالتالي يُؤثِّر على أُسلوب الحياة. كُل هذا يتحكَّم في سلوك الانسان وأخلاقه وكلماته، ومع الأيام يبدأ بالسقوط، ويشعر الانسان أنَّه مُقَيَّد بالخطيَّة بقيود حديديَّة. إنْ لم يقطع الإنسان كُل علاقة له بهذه الأمور بكل إصرار وعَزم وجديَّة، فلا أَمَل في التحرُّر أو اقتناء الطهارة.

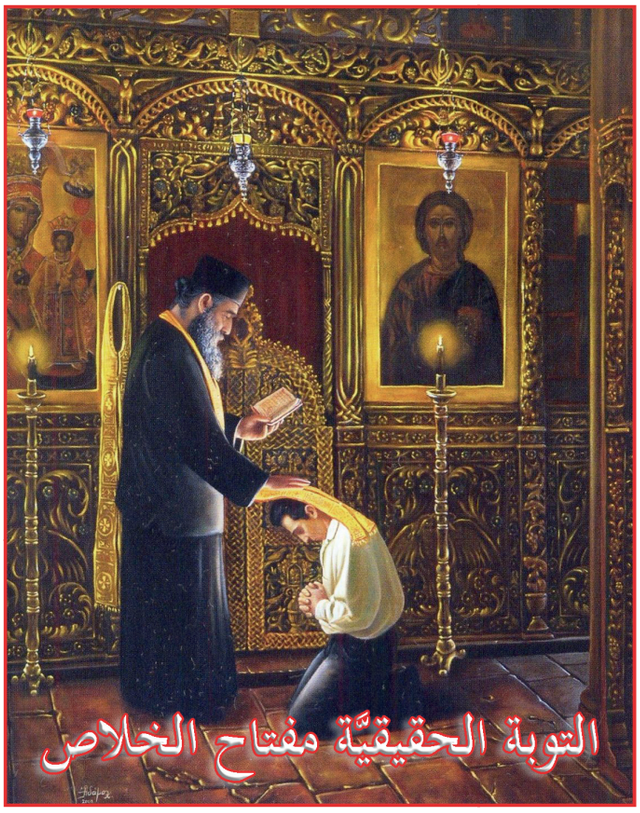

ثالثًا: التوبة والثبات الدائم بالمسيح:

لا يكفي أن نعزم على قطع علاقتنا بأسباب العثرة والخطيَّة، لكن يجب أيضًا التوبة الصادقة والاعتراف بكل الخطايا، وأن تكون للنفس شركة مُستمرَّة مع **المسيح** وثبات دائم فيه. عندئذ فقط تتمتَّع النفس

بالتحرُّر من شهوات الجسد، وتفقد شهيَّتها نحو الرذيلة، وبقدر ما يشبع القلب ويتلذَّذ بعشرة الله بالصلاة وقراءة الإنجيل والتنعُّم بالخيرات الروحيَّة المذخورة في بيت الآب، حيث الأسرار المُقدَّسة ووسائط النعمة، بقدر ما **يُعاف خرنوب الخنازير في الكورة البعيدة**. (عافَ=كَرِهَ).

المسيح أوصانا بِشِدَّة: «اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ.» (يو١٥: ٤)، لأنَّه يَعلَم أننا عندما نَثبُت فيه وهو فينا، فإنَّ عُصارة حياته تَسري فينا، فتتجدَّد أذهاننا وتتنَقَّى أفكارنا وتتغيَّر حياتنا للأفضل، فنتحرَّر من **سطوة إبليس ومِن سُلطان الخطيَّة**، وتفقد الشهوات الجسديَّة والعادات الرديَّة وإغراءات العالَم جاذبيَّتها، كما أنَّ هذا الثبات المُستمر يضمن لنا نموًّا دائمًا في حياة القداسة والفضيلة التي بدونها لَن يُعايِن أحدٌ **الرَّبَّ**.

قصَّة:

كانَ شاب يهودي يسكن في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان من أُسرة متديِّنة مُحافظة جدًّا، رغم أنَّهم يسكنون في منطقة تكثُر فيها الإغراءات والخطايا، لكن الشاب كان مواظبًا على المجمع اليهودي كُل سبت، وعلى تنفيذ أوامر ووصايا الناموس بقدر الإمكان.

كان الشاب يعمل مُديرًا لأعمال سيِّدة ثريَّة جدًّا، أَوكَلَت إليه إدارة أعمالها وثروتها الطائلة، وكان أمينًا في عمله باذلًا نفسه وجهده على قَدر طاقته وفوق الطاقة أحيانًا.

كانت السيِّدة في الأربعينيَّات من عمرها، تحيا حياة التَرَف المُطلَق، تحيا في خلاعة حسب بيئة الأغنياء وعوائدها، وكان الشاب في الثامنة والعشرين من عمره.

حدثَ ما لم يكن في الحسبان، فقد تعلَّقَت السيِّدة بهذا الشاب وأحبَّته حُبًّا شهوانيًّا وبدأت تُغريه، بينما لم يَكُن الشاب يفكِّر مُطلقًا في مثل هذا الأمر، فكان يتحيَّن كُل فرصة للهروب منها، أو أن تبقى معه على انفراد.

ولمَّا ازدادت في الإلحاح وازداد هو في الرفض، عزَّت عليها كرامتها، فابتدأتْ سلسلة من المضايقات التي كان يتحملها بهدوء.

وذات يوم ودون سابق انذار، وجَدَ الشرطة تقبض عليه وتلقيه في السجن. لقد لفَّقت له هذه المرأة هي ومُحاميها تهمة تبديد أموال وإهمال جسيم. كانت التُّهم كاذبة، لكن السيِّدة كانت ذات نفوذ وصاحبة رشاوى وأموال.

دخل الشاب السجن وهو في ضغطة نفسيَّة شديدة من الإحساس بالظُلم، وانتظر حتى يكمل التحقيق وهو بلا ملجأ ولا مَنفَذ.

حدَثَ أنْ مرَّ على السجن أحد القسوس كان يزور مسجونًا، فقابل الشاب وتحدَّث معه وترك له إنجيلًا، ولكنه يهودي ولا يؤمن بالإنجيل، ثُمَّ هو متديِّن ومُتعصِّب ليهوديَّته.. ولكن الوقت بالسجن يمرّ ببطء والملل قاتل. مدَّ الشاب يده وأمسَكَ بالإنجيل وبدأ يقرأ ... كانت مُعجزة إشباع الجموع، ثُمَّ محنة التلاميذ في السفينة التي كادت تغرق، ثُمَّ المسيح يأتي إليهم ماشيًا على الماء فينتهر الريح فتسكُت الأمواج بسلطانٍ عجيب. تأثَّرَ قلب الشاب تَأثُّرًا عجيبًا لم يعرفه من قَبل، ووجدَ نفسه يُصَلِّي صلاة غير مُعتادة كان يتحدَّث فيها مع يسوع وهو يقول له: «**إنْ أخرَجتني مِن هذا الظُلم اليوم، صرتُ لَكَ عبدًا كُل الأيام**».

لم تمضِ إلَّا ساعة واحدة وطَلَبَه النائب العام ليستجوبه ببعض الأسئلة الدقيقة، ثُمَّ أفرَج عنه في الحال وبلا كفالة.

لَم يُصَدِّق الشاب من الفرح ما حدث، بل مضى إلى أحد الإخوة المسيحيِّين ليُعَلِّمه الإيمان، وبعد قليل نالَ سِرّ المعموديَّة وصارَ خليقة جديدة في **المسيح يسوع**.

صلاة

أيُّها الآب السماوي، ساعدنا أنْ نتبعك في كُل مناطق الحياة ومناحيها بما فيها الجنس كواحد من أعظم العطايا المُقدَّمة إلينا، لأنَّ في دائرة وصيَّتك أنتَ فقط، تَجِد هذه العطيَّة شِبَعها الصحيح.

يا أبانا، إنْ كُنَّا قد أسأنا استخدام هذه العطيَّة، دعنا نتوب ونعود إليك، كي نجِد الغفران والسلام والحياة الجديدة. آمين

في استشهاد القديس العظيم في الشهداء ثيوذورس

مديح لأبينا الجليل في القدّيسين غريغوريوس النيصصي

مَن الذي أرشدكم إلى الطريق، وقادكم إلى هذا الهيكل؟ أتكلّم معكم أيُّها الأحبّاء، **يا شعب المسيح المُقَدَّس، أيَّتها الخراف النقيّة الطاهرة، والكهنوت الملوكي**، الذين أتيتم إلى ههنا من مُدنٍ وقُرَى شَتَّى. مَن الذي حَمَّسَكُم واضطرَّكُم إلى المجيء إلى هنا، بخاصّة في زمن الشتاء هذا، حيث تتوقّف الحرب ويُلقِي الجنديّ خوذَته عن رأسه، ويطرح البحّار عنه دفّة سفينته، ويستريح الفلاح من عمل الأرض، مهتمًّا بهدوءٍ بحظيرة أبقاره الصغيرة؟

ما مِن سبب أتى بِكُم إلى هنا، أيُّها الأحباء، سِوَى **الشهيد ثيوذورس**. الذي بَوَّقَ ببوقه في صفوف القتال، وحَرَّضَ الكثيرين من مختلف البلدان، وأتَى بِكُم إلى بيته هذا الخاص به، **أعني كنيسة القديس ثيوذورس**. إنَّه لا يدعوكُم لِيُعدَّكُم لحربٍ ما، بل يجمعكم من أجل سلامٍ عذب يليق خصوصًا بالمسيحيّين. فإنَّنا نؤمن بأنَّ هذا **القديس** قد أنهَى **اضطرابات البرابرة** في السنوات المنصرمة، وأوقَفَ **حربَ التتر القُساة الرهيبة**، الذين لم ينفكّوا عن مهاجمتنا. فإنَّهم عندما أخذوا يقتربون منّا لم يبدّدهم بحربة مثلّثة الرؤوس، ولا برمحٍ مسنون مُرهَف يلمع بارقًا كالشَّمس، بل أرهبهم عجائبيًّا متشدّدًا **بصليب الرَّبّ الكليّ القدرة**. الذي سَبَقَ وكابَدَ الآلام من أجله وتمجَّدَ كثيرًا جدًّا.

● رفات القديسين:

فأنتُم أيُّها الساجدون لإيماننا هذا المُقَدَّس، أيُّها الأتقياء ومُحبّي الشهداء، انتبهوا إلى كلماتي وتأمَّلوا فيها، كم أنَّ لكلّ إنسان قدّيس بالحقيقة شأنٌ عظيم، وكم من الجوائز ينال من الله! أعني هنا الجوائز في هذا العالم الحاضر، وتلك التي في العالَم الآخر، طبعًا ممَّا نستطيع نحن البَشر أن نميِّزه وأن نُدركه (لأنَّه لا يقدر أحدٌ أن يتصوَّر عظمَة الجوائز السماويّة على حقيقتها). وطالما عرفتم إذًا ما هي ثمار القداسة، فلتكن فيكم غيرةٌ مُباركة من رغبة أولئك الشهداء، الذين فَضَّلوا هذه الجوائز والمكافآت على كُل شيء آخر. وتوقوا إلى المواهب التي يوَزِّعها **المسيح** بحسب استحقاق وجدارة كُل واحد، على الذين جاهدوا وتعبوا. دعونا الآن، ان كان مباركًا، أن نتحرَّى عن **مكانة القدّيسين في العالم، كم هي عجيبة وعظيمة**.

في الوقت الحاضر يصعب التمتّع بالخيرات المستقبلة، لذلك الرجاوات الحلوة تحفظه **لأولئك القدّيسين**، إلى حين **مجيء الديَّان العادل**. عندما تنفصل نفس الصدّيق عن الجسد تصعد إلى السماويات، وتقيم في ذلك المسكن الذي أُعطِيَ لها كإرث، فتعاشر **الملائكة غيرَ المتجسّمين** المماثلة لها. أمّا الجسد فيُحاط بالإكرام العظيم والاهتمام البالغ، لكونه حُفظ **كأداة مكرَّمة طاهرة للنفس**. إذ انه لم يضرّ بأهوائه عدم فسادها، حين كانت ساكنة في هذا الجسد. إذًا، ضعوا الآن هذا الجسدَ بكلّ وقار وإكرام في مكان شريف، **كشيء نادر، محفوظًا إلى يوم القيامة العامَّة**. فإنَّه مختلف جدًّا عن الأجساد الأُخرى التي **تنحلّ بالموت المعتاد**، الذي يخضع له البَشَر، على الرغم من انه مجبول من مادة الطبيعة ذاتها. أمَّا بقايا الناس الآخرين فهي **فاسدة** على الغالب. فإذا وَجَدَ الإنسان نفسه أمام أحد القبور وشاهَدَ البقايا الموجودة فيها **يُغادر المكان بسبب النفور، ويتحسَّر لما آلت إليه الطبيعة البشريّة من انحلال وفساد**.

ولكن عندما يأتي المرءُ إلى مكان كهذا يقام فيه احتفالُنا لنكرّم التذكارَ السنويّ للشهيد، فأَوَّلًا تبتهج نفسه، لأنَّه يرى بيتًا هو هيكل الله متألقًا مشعشعًا ببهاء وإشراق، وما تلبثُ أن تفرح بروعة الزينة ...

ومن ثمّ كلّ مُحبّ للشهيد يطيّب وجهه تائقًا إلى تناول علبة رفاة القدّيس هذه، بما أنه يؤمن أنَّ الدنوّ إليها بإيمان وملامستها يمنح قداسةً وبَرَكَةً. فإذا أعطَى أحدهم **لمحبِّ** الشهيد ترابًا من فوق قبر الشهيد، فإنَّه يتقبَّل ذلك التراب كهديّة ثمينة. فيحفظ تلك التربة

كجوهرة من القدّيس جزيلة القيمة. وإن أُعطِيَ الإذنُ (أَذِنَ لَهُ الحَارِسُ بِالدُّخُولِ: أَبَاحَ لَهُ، أَجَازَ، سَمَحَ لَهُ) **لمحبّ** الشهيد هذا أن يدنو من **الرفاة المقدّسة**، فسيعتبر الأمرَ عطيّة كبيرةً جدًّا. هذا يعرفه الذين اختبروه. لأنَّ الذين ينظرون إليه ويقبّلونه كجسد حيّ ويدنون إليه بكلّ حواسهم، حينئذ يذرفون دموعَ التقوى لكي **يتوسَّط القدّيس من أجلهم إلى الله** من حيث هو مُقيم الآن، لأنَّه قادِر أن يلقى المواهب بشفاعته.

من هذا كلّه علمتم أيُّها الإخوة أنَّ موتَ الأبرار مُكَرَّمٌ جدًّا أمام عيني الله. الجسد العادي الذي يموت ككلّ الناس يُرمَى كشيء مرذولٍ تافه وكأمرٍ ممقوت. أمَّا الآخر الذي يُزيّن ويُجمّل بآلام الاستشهاد، فهو محبوبٌ ومرغوبٌ به جدًّا كما سبَقَ ووَصفنا. فمن خلال المرئيّات نؤمن باللامرئيّات. من خلال اختباراتنا ومعايناتنا الصالحة في هذا العالم نُدرِك ما هو غير منظور. إلَّا أنَّ كثيرين من الناس **يفضّلون المجدَ الفارغ وأُمورَ العالم الحاضر العديمة الطعم واللون**. هؤلاء لا يفكّرون بما ينتظرهم في المستقبل. يقولون إنّنا بالغون نهايةَ حياتنا، وسينتهي كُلّ شيء **بالموت**. أمّا أنتَ فتمسّك بقدر المستطاع بهذا الرأي: أن تتعلّم من الصغائر الكبائرَ وأن تفهم الحقيقةَ من الظلال والرموز.

● سيرة القديس:

مَن مِنَ الملوك نالَ إكرامًا كهذا كما يُكَرَّم القديس؟ مَنْ مِن الذين ظهروا عجيبين في العالم تمجَّدَ بمجدٍ عظيم كهذا؟ مَنْ مِنَ الجنود والرؤساء الذين افتتحوا مُدنًا منيعة محصّنة وسيطروا عليها، وأخضعوا شعوبًا لا تُحصَى، نالَ شهرةً وسمعةً كهذه، التي نالها هذا الجنديّ الشهيد، والمختار حديثًا، الذي سلّحه **بولس الإلهي** بالجهاد، وشجّعه **الملائكة الإلهيّون**، وكلّله **المسيحُ** الإله كمنتصر ظافر؟ وطالما بلغنا إلى جهادات الشهيد، فدعونا نسرد قصّة محاسن وجمالات الشهداء ممّا يليق به وبكلّ الشهداء الآخرين. ثمّ نخبركم بما يختصّ به وحده ويمتاز. لأنَّ المرغوبَ والمحبوب بالأكثر في كلّ واحد، هو ما يختصّ به ويتفرَّد ويمتاز.

أمَّا وطن هذا الشهيد الشجاع فهو المَشرِق. كان **كأيّوب** من أشراف المشرق، شاركه أيضًا بالوطن (كان أيّوب من أرض عوص من بلاد حوران العربيّة) ولم يُقَصِّر أيضًا عن مشابهته بالفكر. أمَّا الآن فهو شهيد ومواطنٌ عام لكلّ المسكونة. إذًا، هذا المُطوَّب، بعدما تجنَّد في حملة عسكريّة، انضوى تحت ألوية صفوف الجيش، وأَمَرَ أحد القادة أن يُمضِي الجيش الشتاء كلّه في **كبادوكيا**. هكذا أتى **القديس** مع فرقته إلى آسيا الصغرى. لكن قامت حربٌ مفاجئة في ذلك الحين. لم تكن هذه الحرب بسبب البرابرة، بل بسبب **قانون شيطاني** ينصّ على أنَّ كُل من يُعرف أنّه مسيحي يجب أن **يُساق إلى الموت**.

حينها كان **ثيوذورس المثلّث الغبطة** معروفًا بتقواه، ولم يكن راسمًا إشارة اعترافه (أي الصليب) على جبينه وحسب، بل كان يكرز بالإيمان **بالمسيح** في كُلّ مكان. ولم يكن غرًّا في الجنديّة ولا في البسالة الروحيّة.(غرًّاءُ: معتبرة، محترمة، مشهورة)، بل مِقدامًا عزيز النفس، لذلك برهن عن رجوليّته في كُلّ المخاطر. ولم يَكُن من الوضعاء الذليلين، بل بالأحرى عاقلًا راشدًا ممتلئًا طلاقةً وحريّةً. فعندما **ثار عليه الشيطان بالمحاكمات والاتهامات الخبيثة**، واتَّحَدَ والي المنطقة مع قائد الجيش ... قالوا له: «**من أينَ لَكَ هذه الوقاحة، بإهانتك القانون المَلَكِي وعدم سجودك للأوثان بحسب إرادة السُّلطَات الحاكمة؟**».

هنا لم تتغيَّر ملامح وجه القدّيس، ولم يطرأ عليه أيُّ تحوّل بسبب خوفٍ ما أو فكرٍ أو قضاءٍ ، بل أجاب بفطنة وحكمة على أقوالهم، وقال: «أنا لا أعرف آلهةً كثيرةً، فهي غير موجودة في الحقيقة، وبالتالي فإنَّكم تضلّون، أنتم تكرّمون شياطين خدَّاعة غاشّة باسم الإله الحقيقي. أنَّا بالنسبة لي فالإله المعروف والحقيقي هو واحد لا غير، المسيح ابنُ الله الوحيد. ومن ثمّ من أجل إيماني هذا واعترافي، دَعْ من يريد أن يجرّحني، أن يقطّعني إربًا، ومن يريد أن يجلدني فليمزقني ... ما دام من الواجب على كلّ عضو من أعضاء هذا الجسد أن يخضع لخالقِي ولمشيئته».

لقد انهزمَ المضطهدون أمام أقوال الشَّهيد، واضطربوا، ولم يستطيعوا أن يحتملوا هذه الضربَة الأولى التي وجّهَهَا إليهم. فإنَّهم رأوا شابًا أحبَّ الألم بكلّ رغبة، يتوق إلى أن يرتشف كأس المنون كشرابٍ لذيذ. فبقوا متحيّرين. ثمَّ تكلَّم أحد قادتهم بلهجةٍ ساخرة وقال: « **يا ثيوذورس، هل لإلهك هذا ابنٌ؟ وهل هو يَلِد عن طريق هوى اللّذة كسائر البَشَر؟**». فأجابَ **القديس**: «**كلَّا، هذا من التجديف، لكني أعترف بابن الله المولود كما يليق بالله. أمَّا أنتَ أيُّها الصبيانيّ، أَلَا تستحي من الإيمان بآلهة أُنثويّة،وأن تسجد لها كأم لإثني عشر ولدًا، كشيطان كثير الأولاد ...؟**».

بعدما ردَّ **القدّيس**، تظاهَرَ الطُّغاة بالتحنّن وقالوا: « **لِنُعطِ هذا المعتوه بعضَ الوقت فربَّما يعود إلى صوابه**». لقد اعتبروا حكمة الشهيد غباءً. فقد حصَلَ معهم كما مع السُّكارى حينما ينسبون داءهم إلى الناس العاديين الصائمين. إلَّا أنَّ جنديّ **المسيح** استخدم الفرصة التي أُعطيت له للتفكير في جهاد رجولي. إليكم الآن عرض القصّة كما وردت.

● إحراق الهيكل الوثني:

كانَ **هيكل أُمّ الآلهة الأسطوريّة رِيًّا Rea** في وسط **مدينة أماسيّا** (مدينة في إقليم البنطس في آسيا الصُغرَى)، وكان الوثنيّون قد بنوه على ضفاف النهر. عندما أُعطِيَت لشهيدنا الشجاع ثيوذورس فرصةً للتفكير بأمره، لاحَظَ وجودَ هذا الهيكل، وتأمَّل فيه قليلًا، فوجد الوقتَ مناسبًا والرياحَ مؤاتية متحرّكة ناشطة، فَأَضرَمَ النارَ وأحرقه من أساسه.

بهذه الطريقة أعطَى القديسُ الجوابَ **للطغاةِ الملاعين**. وأَتَى الجوابُ عمليًّا **بإحراق الهيكل الوثني**. هذا تَمَّ عَلَنًا وأمام الجميع واشتعلت النيران، منيرةً وسط المدينة. لم يُخفِ **القدّيس** دلائل عمله، فكان الأمر معروفًا أنه هو الذي أضرَمَ النَّار. فتمرْمرَ الملحدون واغتاظوا جدًّا لِمَا حَلَّ بالهيكل الوثني. ثمَّ مَثُلَ **القدّيس** أمام الطغاة وقال لهم:« **أنا هو الذي أحرَقَ الهيكل الوثني**». حينها قامت حُجّة ثانية أرهَب من الأولى ممّا حرّضهم بالأكثر على الحُكم عليه والانتقام منه.

● المحاكمة والعذابات:

صَعِدَ **الحُكّام الطغاة** كُلٌّ إلى سدّته ... وعندما سألوه «**من الذي أحرقَ الهيكل**»؟ اعترف للحال مرّة أُخرى وقال: «**أنا الذي أحرقته**». وعندما رأوه متشدِّدًا لا يخاف، حينئذ غيّروا لهجتهم فتكلّموا معه بلطافة، محاولين أن يُضِلّوه قائلين: « **إعلمْ انه إن ارتضَيتَ أن تقبل نصيحتنا، نريد أن نجعلك معروفًا ومشهورًا، نريد أن نمنحك رتبةَ رئاسة الكهنوت الوثني**».

ابتسم الشهيد وقال: «إنِّي اعتبر كهنتكم أشقياءَ حقًّا، وأتأسَّف عليهم لأنَّهُم يخدمون أعمالًا لا فائدة منها ... إنّكم تَعِدونني بقمّة الشّقاء والأسَى. أمَّا الذي عنده النيّة على العيش بالتقوَى فإنَّه يُسرّ بأن يُزدَرى في بيت الله مِن أن يسكن في مساكن الخطأة (مز٨٣: ١١). أتأسّف على الملوك الذين اتّخَذوا لأنفسهم لقبَ رئاسةِ الكهنوت، وارتدوا ثياب رؤساء كهنتكم الأشقياء. وعندما يدنون من المذبح يتحوَّلون من ملوك إلى سَحَرة، ويدنّسون بذبائِحِهم ثيابهم الملوكيّة».

بعد كلام الشهيد هذا توقّف المضطهدون عن ممالقتهم الكاذبة، فأمروا بأن يُعَلَّق الشهيد على خشبة العقاب، وأخذوا بتجريح جسده. إلَّا أنَّ الشهيد ثيوذورس ظَلَّ صامدًا مُرَتِّلًا في الوقت نفسه: «أُبارك الرَّبّ في كُلّ حين وتسبحته في فمي في كُلّ آن» (مز ٣٣: ٢)، وكأنَّ شخصًا آخر يُعانِي من هذا العذاب. بعدها ألقوه في السِّجن، وهناكَ عجائب كانت تجري على يده. كان يُسمَع في الليل أصواتٌ ترتّل كما في صلاة، كما أنَّ النُّور ظهرَ إلى الخارج أيضًا، حتى إنَّ حافظ السِّجن قفز بسرعة ودخل فلم يَجِد أحدًا سِوَى الشَّهيد الذي كان مستلقيًا مستريحًا والسجناء الآخرون نائمون.

على الرَّغم من تواصل التعذيبات كان الشهيد يزداد جرأة في اعترافه بإيمانه **بالمسيح**. فَصَدَرَ القرار بإحراقه بالنَّار. ممّا سيقوده إلى المكان الممدوح جدًّا الذي جعله مشفًى لمختلف الأمراض، **يطرد الشياطين** ويُشَكِّل ملجأً أمينًا للمؤمنين. فعلى الرغم من احتفالنا هذا مرَّةً واحدة **في كنيسته هذه المقدَّسة**، إلَّا أنَّ الزائرين لا ينقطعون عن المجيء بشوق إلى هذا الهيكل المقدّس.

● طلبات وتضرعات:

أمَّا نحنُ أيُّهَا **المغبوط ثيوذورس** بما أنَّنا وصلنا إلى هذا الوقت بإحسانات ورحمات **إلهنا**، نتمِّم لَكَ هذا الاحتفال بهذا المجمع من مُحِبِّي الشهداء، ساجدين للمسيح سيِّدنا، وَمُعَيِّدِينَ لتذكار جهاداتك الظَّافرة. أمَّا أنتَ، مِن حيثُ توجد الآن، تعالَ إلينا مترئسًا هذا الاحتفال. فإن كنتَ تمكث في الأثير العُلوي ، أو تطوف في مكانٍ ما من القبّة السَّماويَّة، أو مُشَارِكًا لجوقات الملائكة، أو ساجدًا كعبدٍ أمين في حضرة **المسيح** السيِّد مع القوّات والسُّلطات؛ فاترك هذه الأماكن لِبُرهَةٍ وجيزةٍ، وتعالَ إلينا، نحنُ المُكَرِّمين إيَّاكَ، كصديق غير منظور ... وبما أنَّكَ حظيتَ في حين آلامك بجمعٍ غفيرٍ من المشاهدين، كذلك الآن يوجد هنا مَن يخدمك مُكرِّمًا إيَّاكَ.

أيُّهَا **القديس** إنَّنا بحاجة إلى إحسانات كثيرة ومعونات. فتوسَّط متضرِّعًا لدى **الملك والسيِّد** المشترك لأجلنا ... إنَّنا خائفون ومتحيّرون من الضيقات، نتوقَّع مخاطرة آتية علينا، وليس الأعداء بعيدين عنَّا، وهُم مستعدُّون لمُحَارَبَتنا. فحارب معنا كجنديّ باسِل وأعنَّا. استعمل دالّتك كشهيد **المسيح** من أجلنا نحنُ شركاءك في التعبُّد له. وعلى الرغم من مغادرتك الحياة الحاضرة إلَّا أنَّك تعرف الأهواء البشريَّة واحتياجات طبيعتنا. أُطلب **من الله السَّلام لنا** لئَلَّا تتوقَّف احتفالات كهذه ... فإنَّكَ حَفظتنا سابقًا غير متضرِّرين من الشُّرور، فنعترف بِفَضلِكَ علينا، ونطلب منكَ أن تحمينا من التجارب الآتية وتُنَجِّينا منها.

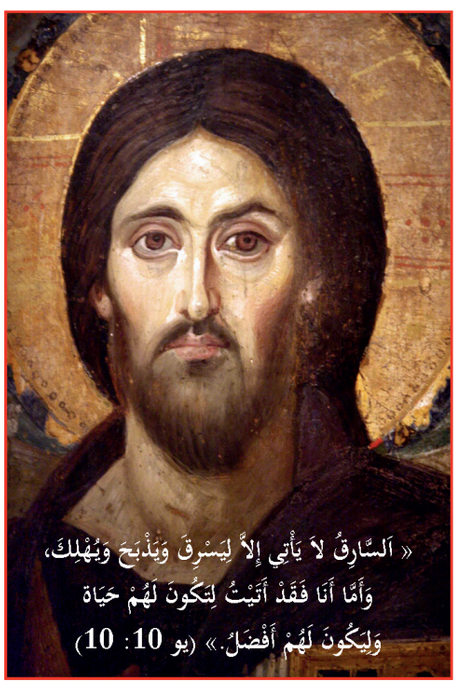

إذا حَلَّ ضيقٌ واحتياجٌ ، إجمَع شملَ اخوتك، أعنِي محفلَ الشُّهداء، وتضرَّعوا معًا إلى **المسيح السيِّد** ... ذَكِّر **بطرس** بذلك، حِثّ **بولُس** وكذلك **يوحنَّا الحبيب**، لكي يهتموا بالكنائس التي أسّسوها والتي من أجلها احتملوا القيود وصبروا على مخاطر وميتاتٍ عديدة، لئَلَّا **ترفع الوثنيَّة رأسها، وتنبتَ الهرطقات** في كرم **المسيح كالأشواك** ... لكن بقدرة توسُّلاتك وتوسُّلات شُركائك الشهداء، ليظهرْ جمعُ المؤمنين حقلًا مُثمرًا، وليستمرّ حتى النهاية نَضِرًا، ليثمرْ دائمًا حياةً أبديَّة في **المسيح ربّنا** الذي به يليق المجد والإكرام والسُّجود مع **الآب والرُّوح القُدُس** الآن وكل أوان وإلى دهر الدَّاهرين. آمين.

«فلنشترك إذن، بكل ثقة، في جسد المسيح ودمه. إنَّ جسده يُعطَى لك تحت شكل الخبز، ودمه يعطى لك تحت شكل الخمر، وإذ أنت تشترك في جسد المسيح ودمه، تصبح جسدًا واحدًا ودمًا واحدًا مع المسيح. وهكذا نصبح نحن «حاملي المسيح»، بما أنَّ جسده ودمه ينتشران في أعضائنا، وبهذه الكيفية نصبح – على حدّ تعبير الطوباوي بطرس – «شركاء الطبيعة الإلهية».

القديس كيرللس الأورشليمي القرن الرابع – عظة 22

الفصل التاسع – تتمة

وفي هذه اللحظة قال **التَّاجِر** موافِقًا:

– «تمامًا! ... وهنا ما رأي صاحب السيادة المدير العام ؟ ».

فأجابَ أمين السِّرّ:

– هل تطرح السؤال عليّ؟.

– طبعًا فأنتَ تراه كُل يوم.

– حسنًا ... كيف أجيبك؟ ... انه لا يقبل شيئًا من هذا – أترى أنه مجرّد راهب. بينما ابني الجامعي فقد لفت نظري إلى أنَّ المدرسة بحاجة إلى التقدُّم والتأقلم مع قيم الشعوب المتحضرة.

– لكن نكتاريوس يردّد طوال الوقت أن الابتعاد عن **المسيح** سوف يؤدي **الى الاضطرابات والظلمات والحروب والكوارث**. ولهذا السبب فقد وضع كتابة الذي كُنَّا نتكلم عنه منذ قليل ... إن هدفه هو توجيه ثقة الشبان للاعتماد على حجر الزاوية: **ابن العذراء**.

فصرخ **التَّاجِر**:

– انه يتأخر عن العَصر ... انه لا يقيم وزنًا للعلم! أريدك ان تشتري له كل صباح الصحُف والمجلات العلميّة على حسابي، هل فهمت؟

– نعم.

– وعندما ينشر ابني المقالات العلمية سوف ألفت انتباه نكتاريوس إليها بنفسي.

الفصل العاشر

«وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ. وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ.» (لوقا ٢٢: ٤٣-٤٤).

«مَا الإِنْسَانُ، وَمَا مَنْفَعَتُهُ؟ مَا خَيْرُهُ، وَمَا شَرُّهُ؟ عِدَّةُ أَيَّامِ الإِنْسَانِ عَلَى الأَكْثَرِ مِئَةُ سَنَةٍ. كَنُقْطَةِ مَاءٍ مِنَ الْبَحْرِ، وَكَذَرَّةٍ مِنَ الرَّمْلِ، هكَذَا سِنُونَ قَلِيلَةٌ فِي يَوْمِ الأَبَدِيَّةِ. فَلِذلِكَ طَالَتْ عَلَيْهِمْ أَنَاةُ الرَّبِّ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِمْ رَحْمَتَهُ....» (يشوع بن سيراخ ١٨: ٧-٩).

كان **الجبل المقدَّس آثوس وسيبقى دائمًا عاصمة الأرثوذكسيّة**، كما قال مؤخرًا أحد الكتُّاب المعاصرين. فكل ما يمكن أن يكتب المرء عن هذه البقعة وعن **لؤلؤة الرهبنة الروميّة**، لن يكون غير نقطة في بحر الحقيقة. فانه حتى الخيال الورع يبقى بعيدًا عن هذا اللون السماوي السرّي، وعن ارتقاء **فكر الناسك أو المتوحد، رجل الصلاة الذي يتشفّع ويتوسّل من أجل سلام العالم وخلاصه**.

لقد كان **هذا الجبل** ولا يزال مدينة رهبانيّة كليًا، يعيش فيها رجال من جميع الأنواع. فكل الذين يقرّرون مغادرة العالم وإنهاء حياتهم فيه يقبلون جهادًا وحمل صليبٍ ثقيل. لأنّهم لا يَسعهم تجنّب **الصراع الخفيّ ضدّ العدوّ، المدمّر، الشيطان قاتل الإنسان**. فينتصرون عليه بفضل صبرهم وإيمانهم وثباتهم، ويرتقون إلى الطبقات العلويّة التي يجهلها سكان العالم؛ أو ينهزمون فيقعون بجبّاتهم **في الخطيئة، ويتحوّلون إلى أقذار وإلى حيوانات مفترسة مليئة بالأوساخ والأهواء**.

والمؤسف أنه من بين مليارات الناس الذين **وهبهم الله الإدراك، وتنازل الكلمة الإلهية** ليأخذ صورة عبدٍ ساقط ويحتمل المهانة والصَّلب من أجلهم، من بين جميع هؤلاء البَشر الذين يولدون ويموتون، **فالقلة القليلة فقط تَعِي عظمة امتيازها ودعوتها، والنُدرة هي التي تفوز بالملكوت السماوي**.

والأمر هو نفسه بالنسبة إلى شبه الجزيرة هذه، **آثوس**، تلك الأرض المباركة والمروّاة **بالدم**: فإن الملايين يدخلونها ويخرجون، ويرتدون الزيّ الرهباني، إلَّا أنهم نادرًا ما يتوصّلون للارتقاء إلى مستوى **أناستاسوس الآثوسي، أو غريغوريوس بالاماس، أو نيقوديموس الآثوسي**.

ويحتوي النسك الرهباني على **نذر الفقر والعفة** إلى جانب نذور أُخرى. ويرتكز على طريقين: **الأوّل طريق الأصوام**، وهو كثير الصعوبة، ويعتنقه النسّاك. **والثاني طريق الطاعة**، وهو الأكثر سهولة، وينهجه الرهبان. ومع ذلك فان القليل من الرهبان يستمرون في هذا الطريق الثاني. وإلَّا فلو كان الجميع ينتصرون، أو حتى يبقون في أماكنهم، لكان الجبل المقدس صغيرًا جدًا.

ويصلّي الناسك من أجل العالم ومن أجل الضعفاء والخاطئين، ست ساعات في الليل والنهار بطوله. إنّه يتفقّه لدى **القديس اسحق السوري، والفيلوكاليا، والمزامير، والقديس نيلوس الناسك، والقديس سمعان اللاهوتي الحديث، والقديس يوحنا السُلمي، والأب دوروثاوس، والأب مرقس الناسك، والقديس أفرام السوري والكثير غيرهم**.

لا يهتم الناسك لما يأكل: فهو يعيش من ثمار أشجار الغابات المجاورة، ومما يأتيه من وقتٍ لآخر زائروه المعجبون بالمواهب السريَّة التي يُنعم بها عليه **يسوع المسيح والكليّة القداسة**. فإذا أكل الكعك العفن خلال الشتاء القارص، بدا له ذلك حلوى لذيذة.

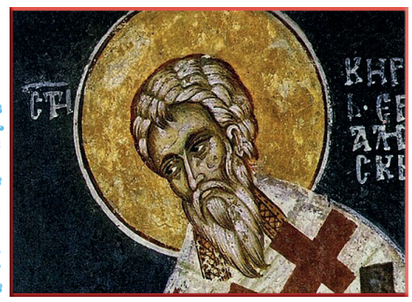

العظة التاسعة عشرة، الأولى في الأسرار
لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم
في العُمَّاد : المراسيم الافتتاحيّة

العظة التاسعة عشرةَ

«أُصْحُوا وَاسْهَرُوا. لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ. فَقَاوِمُوهُ، رَاسِخِينَ فِي الإِيمَانِ، عَالِمِينَ أَنَّ نَفْسَ هذِهِ الآلاَمِ تُجْرَى عَلَى إِخْوَتِكُمُ الَّذِينَ فِي الْعَالَمِ. وَإِلهُ كُلِّ نِعْمَةٍ الَّذِي دَعَانَا إِلَى مَجْدِهِ الأَبَدِيِّ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، بَعْدَمَا تَأَلَّمْتُمْ يَسِيرًا، هُوَ يُكَمِّلُكُمْ، وَيُثَبِّتُكُمْ ، وَيُقَوِّيكُمْ، وَيُمَكِّنُكُمْ.» (١ بطرس ٥:٨-١٠).

١) – هلُمّوا تعلّموا ما حصل فيكم يوم عمّادكم

كانَ بِودّي، من زمنٍ بعيد، يا أبناء الكنيسة الحقيقيين الاعزاء، أن أُعلمكم هذه الأسرار الروحيَّة السماويَّة. ولكن بما أني كنتُ أعرف أن البَصر في التعليم أكثر فائدة من السمع. فقد انتظرت حتى الآن، وقد اصبحتُم أسهل انقيادًا من جرَّاء ما اكتسبتموه من خبرةٍ، لكي أقودكم بيدكم في المرج الأكثر ضياء، وعطرًا من هذا الفردوس. لقد تبيّن أنكم أُهّلتم للاشتراك في أسرار أكثر قداسة، بعد ان استحققتم قبولَ العماد الإلهي المحيي. فيجب أن أُعِدَّ لكم مائدةَ تعليم أكمَل. فدعوني أُعلّمكم بكل دقّة لكي تعلموا ما حصَلَ فيكم في مساء عُمادكم.

٢) – جَحد الشيطان يرمز إليه فرعون مصر

لقد دخلتم أولًا رواق مكان العماد، ووقفتم متّجهين نحو الغرب وأخذتم تنصتون. فتلقيّتم الأمر بِبَسط أيديكم، وكفرتم **بالشيطان** كما لو كان حاضرًا. يجب أن تعلموا أن رمز هذه الحفلة نجدهُ **في العهد القديم**. ذلك أنه عندما كان فرعون، هذا الظالم المفتري القاسي، يضطهد **شعبَ العبرانيين الأصيل الحُرّ**، أرسَلَ **الله موسى** لِيُحرِّرهم من **عبوديّة المصريين المضنية**. **وبدم الحَمَل** دهنوا أبوابهم لكي يرى **ملاك الهلاك** علامَة الدَّم على بيوتهم، فيعبر عنها. وبطريقة تدعو إلى العَجَب، نجا شعب العبرانيين. فانطلق **العدوّ** في إثر الذين استردّوا حُرِّيتهم. وعندما رأى البحر قد انشقّ لهم بأُعجوبة إندَفَعَ وراءهم، فغمرته فجأة مياه البحر الأحمر. (خروج ١٤:٢٢ ، ٣٠).

٣) – موسَى مثال المسيح

وانتَقِلوا الآن **من العهد القديم الى العهد الجديد**، من الرمز الى الحقيقة. فهناك أرسَلَ **الله موسى** الى مصرَ، وهنا أرسَلَ **الله الآب المسيح** الى العالم لكي يحرِّر الذين كانوا يشقَون في العالم تحت **نير الخطيئة**. هناك دَم الحَمَل الذي أَبعَدَ **المُهلِك**، وهنا **دم الحمل البريء، يسوع المسيح** (١بطرس ١:١٩). هو الذي حمل **الشياطين** على الفرار. هناك طارَدَ الظالمُ المستبدّ هذا الشعبَ القديم حتى البحر، وهنا كان هذا **الشيطان الجريء الشّرير** يُطاردكم بلا خجل حتى ينبوع الخلاص. فغَرِقَ الأَوَّل في مياه البَحر، واختفَى الثاني في مياه الخلاص.

٤) – رمز التوجّه الى الغرب

والآن، انتَ تسمع الأمر الصادر إليكَ ببسط يدك نحو **الشيطان** كما لو كان حاضرًا، وبالقول: «**أنا أكفر بك، أيها الشيطان**». ومن الضروري أن أقول لكم أيضًا لماذا كُنتم واقفين، متجهين نحو الغرب: الغرب هو **منطقة الظلمات المرئيّة، والشيطان الذي هو ظلام يبسط سلطانه على الظلمات**. ورمزًا لذلك اتّجهتم بأنظارِكُم نحو الغَرب، وأنتم تكفرون بذلك **القائد المظلم الكئيب**. ما هي العبارة التي لفظها كُلٌّ منكم، وهو واقف؟ «**أنا أكفر بِكَ، أيُّهَا الشيطان الشّرير القاسِي المستبدّ**» أي ما معناه: أنا لم أَعُد أخشَى قوّتك، لأنَّ **المسيح سَحَقها**، إذ اشترك معي في الدم واللحم لِيُبطل الموت بالموت (عب ٢:١٤-١٥) ولا أظَلّ تحت العبوديّة. أنا أَكفر بِكَ أيها **الثعبان الماكر والصانع كلّ شرّ**. أنا أكفر بِك **أنت الذي يحيك الشِّراك ويرتكب كُل إثم** تحت قناع الصداقة؛ أنت الذي أوحَى لأبوينا الأَوَلَيْن معصيتهم الأولى. أنا أكفر بِك، **أيها الشيطان، الصانع والمُحَرِّض على كُلِّ فساد**.

٥) – جحد الخطيئة ...

وهناك صيغة ثانية تعلّمك أن تقول : «**وبكلّ أعمالك**». **وأعمال الشيطان هي كُل خطيئة**، ويجب التخلّي عنها، كما يُلقَى سلاح الظالم عندما تُترك خدمته. **فكل خطيئة، على مختلف أنواعها، تدخل في أعمال الشيطان**. واعلم على كُل حال أَنَّ كُل ما تقوله في هذه الساعة الرهيبة يُسَجَّل في كتب الله. وعليه إن كنتَ ترتكب عملًا مخالفًا لهذه الأقوال، فأنتَ ستُحاكَم كمن يحنث بيمينه. أنتَ إذن **تكفر بأعمال الشيطان**، أي **بكل الأفكار والأعمال المخالفة للصواب**.